مجلة المنار

المجلد الرابع

الجزء الثالث والرابع

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

شبكة الألوكة www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنار
١٣١٥
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٣١٨ — ٢١ مارت (اذار) سنة ١٩٠١)

مسئلة الغرانيق . وتفسير الآيات

تمهيد . مصارعة الحق والباطل . رفع الاسلام مقام الانبياء وحكمه بعصمتهم . عيث عشاق الروايات وافسادهم في الدين . الروايات واختلافها في مسئلة الغرانيق . مخالفة المحققين لها . الرجوع الى اهل العلم الصحيح في ازالة الحيرة . الطعن في رواية تفسير التمني بالقراءة . الطعن في حديث الغرانيق رواية . الطعن فيه دراية . عصمة الانبياء . الوجوه الدالة على بطلان حديث الغرانيق . تفسير الآيات على الوجه الموافق لأسلوب القرآن المنطبق على العقائد الصحيحة . السياق وسابق الآيات . التفسير الاول وفيه المقابلة بين الآيات و آيات سورة آل عمران في المحكمات والمتشابهات . التفسير الثاني . امانى الانبياء . سنة الله فيهم وفي اقوامهم . تأويل ثالث . وسواس الشيطان . اللغات في الغرنوق ومعانيه . عدم ملاءمة معانيه لوصف الآلهة . انتفاء نقل ذلك عن العرب . الجزم بان الحديث من وضع الاعاجم .

حديث الغرانيق صار مشهوراً عند المتأخرين لوجوده في كثير من كتب التفسير التي تتناولها الايدي ولو صح لكان اكبر شبهة على الدين ولكن المقلد البحت الذي لا نظر له لا يبالي بالشبه ويقبل كل نقل ، وان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان القرع فيه ينفى الاصل ، وطلاب الفتن يتشبثون بأهداب الشبه فيجعلونها معاول تهدم الاركان الثابتة ، وتنفى القضايا المبرهنة . ولذلك كثر الطعن فى هذه الايام ، بدين الأسلام ، من دعاة النصرانية ، وبعض المفتونين بالشبه المادية ، واقوى نكاية لهؤلاء الطاعنين ماقاله بعض المفسرين فى مسئلة زيد وزينب وفى مسئلة الغرانيق ومسئلة أخرى . ولما كان كشف الشبهات وتخليص الحق من شوائب الباطل على وجه تثق به النفوس ، وتطمئن اليه القلوب ، من وظائف أئمة الدين ، واكابر العلماء الراسخين ، لجأ قوم الى حكيم الاسلام فى هذا العصر ، وامام المسلمين فى كل بادية ومصر ، مولانا الاستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، فى أن يجلي لهم الحق فى المسئله الاولى فاجاب ، بما هو الحكمة وفصل الخطاب ، ونشرناه فى المنار ، ليشتهر فى الاقطار ، ثم سأله آخرون فى هذه الايام عن الثانية . فاجاب بما أزال الالتباس ، ومحّص ما فى صدور الناس ، جعل المسئلة أولا موضوع درس فى الازهر حضره الجماهير ، والجم الغفير ، ثم كتبها لتنشر فى المنار ، وتتناقل فى الامصار ، وهاك ما جاء من فضيلته ، بنصه وعبارته :

« وما أرسلنا مِن قبلكَ من رسولٍ ولا نبيٍّ الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أُمنيّته فينسخُ اللهُ ما يلقى الشيطان ثم يُحكم اللهُ آياتهِ واللهُ عليمٌ حكيم . ليَجعلَ ما يُلقى الشيطانُ فتنةً للّذين فى قلوبهم مرضٌ والقاسيةِ قلوبُهم وإنّ الظالمين لفي شِقاق بعيد . وليعلمَ الذين اوتوا العلمَ أنه الحقُّ من ربك فيؤمنوا به فتخبتَ لهُ قلوبُهم وإن الله لَهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ولا يزال الذين كفروا فى مريةٍ منه حتى تأتيهم الساعة بغتةً أو يأتيهم عذاب

www.alukah.net من شبكة الألوكة

يوم عقيم »

قد يجد الباطل انصاراً ، فيتبوأ من نفوسهم داراً ، ويتخذ له منها قراراً ، وتذهب على ذلك الايام بعد الايام ، وتمضي عليه الاعوام إثر الاعوام ، وهو يلعب بأهله ، ويغلب اهواءهم بحياله ، حتى يقصروا نظرهم عليه ، ولا يجدوا ملجأ منه الا اليه ، فاذا أوتوا من ناحيته رضوا ، واذا عرض لهم الحق اعرضوا ، ولا يزالون كذلك الا أن تحل به عُرامه ، وتفسد بعلله قواه ، والحق لا يزال يعرض نفسه ، يستخدم مرّة لينه واخرى بأسه ، وهو الشابُّ الذى لا يهرم ، والعامل الصبور الذى لا يسأم ، وانما يُعرِض بوجهه عن الاغبياء ، ويُولّى ظهره الاشقياء ، ثم لا ينفك يرحمهم ، ولا يبرح يتعهدهم ، يسفر عليهم محياه ، ويرسل اليهم اشعة من سناه ، فاذا وافاهم وقد وهنت مُنَنُهم ، (١) ومَرِهت عيونهم ، (٢) وحلك ليلهم ، واشتد خبلهم ، صاح بهم منه صائح ، ودَمحهم من جنده رامح ، (٣) فقلق بالباطل مكانه ، وزُلزلت من حوله اركانه ، وفزع يطلب النصير ، وثار يلتمس المجير ، فلا يجد الا اسباباً تقطعت به ، وأعضاداً فُتَّ فيها بسببه ، (٤) وقد رنّق قومه ، (٥) وعبس يومه ، فيحملق الى الحق يأخذه ببصره ، ويستنزله بنظره ، ولكن خاب الظن ، وبطل القن ، ثم لا يلبث وهو الباطل ان يتحول عنده اليأس املاً ، ويجد من اليبس بللاً ، فيظن وهو هو ان الحق ناصره ، وان

---

(١) المنن جمع منة بالضم وهي القوة (٢) مرهت العين خانت من الكحل أو فسدت لتركه (٣) رمحه طعنه بالرمح . والرامح ذو الرمح (٤) الفت الدق والكسر بالأصابع ويقولون « فت في عضده » اذا كسر قوته وفرق عنه انصاره (٥) رنق القوم بالمكان (بتشديد النون) اقاموا وفى الامر خلطوا الرأى والطائر خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ستقوى به اواصره ، فيستنصر بجنده ، ويطلب النجدة من عنده ، واقرب ما يكون خصم الى الهلكة اذا اطمأن الى عدوه ، وامل الخير فى دنوه ، هذا شأن الباطل واهله ، مع تقلبه فى ملله ونحله ،

يعلم كل ناظر فى كتابنا الالهى (القرآن) ما رفع الاسلام من شأن الانبياء والمرسلين ، والمنزلة التى احلهم من حيث هم حملة الوحي وقدوة البشر فى الفضائل وصالح الاعمال وتنزيهه اياهم عما رماهم به اعداؤهم وما نسبه اليهم المعتقدون بأديانهم . ولا يخفى على احد من اهل النظر فى هذا الدين القويم انه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل فى التبليغ والزيغ عن الوجهة التى وجه الله وجوههم نحوها من قول او عمل وخص خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم فوق ذلك بمزايا فصلت فى ثنايا الكتاب العزيز

عصمة الرسل فى التبليغ عن الله اصل من اصول الاسلام شهد به الكتاب وايدته السنة واجمعت عليه الامة . وما خالف فيه بعض الفرق فانما هو فى غير الاخبار عن الله وابلاغ وحيه الى خلقه . ذلك الاصل الذى اعتمدت عليه الاديان حق لا يرتاب منه ملىٌّ يفهم ما معنى الدين

مع ذلك لم يعدم الباطل فيه اعواناً يعملون على هدمه وتوهين ركنه اولئك عشاق الروايات وعبدة النقل . نظروا نظرة فى قوله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ » — الآية وفيما روي عن ابن عباس (رضى الله عنهما) من أن تمنى بمعنى قرأ والامنية القراءة فعمي عليهم وجه التأويل الحق على فرض صحة الرواية عن ابن عباس فذهبوا يطلبون ما به يصح التأويل فى زعمهم فقيض لهم من يروي فى ذلك احاديث تختلف طرقها وتتباين الفاظها وتتفق فى ان النبي صلى الله عليه وسلم عند مابلغ منه اذى المشركين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مابلغ واعـ ضوا عنه وجفاه قومه وعشيرته لعيبه اصنامهم وزرايته على آلهتهم اخذه الضجر من اعراضهم ولحرصه على اسلامهم وتهالكه عليه تمنى ان لا ينزل عليه ماينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ماتمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم اذا هوى » وهو فى نادى قوله وروي انه كان فى الصلاة وذلك التمنى آخذ بنفسه فطفق يقرأها فلما بلغ قومه : ومَناة الثالثةَ الاخرى « ألقى الشيطان فى امنيته » التى تمناها بان وسوس له بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط فمدح تلك الاصنام وذكر ان شفاعتهن ترتجي . فمنهم من قال انه عندما بلغ « ومناة الثالثة الاخرى » سها فقال : تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى . ومنهم من روى (الغرانقة العلى) ومنهم من روى (ان شفاعتهن ترتجى) بدون ذكر الغرانقة والغرانيق . ومنهم من قال انه قال (وانها لمع الغرانيق العلى) ومنهم من روى (وانهن لهن الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لهي التى ترتجى) ففرح المشركون بذلك وعند ما سجد فى آخر السورة سجدوا معه جميعاً

قال ابن حجر العسقلانى : وتعدد الطرق وصحة ثلاثة منها وان كانت مرسلة يدل على ان للواقعة اصلاً صحيحاً . وهذه الاسانيد الصحيحة — فى رأيه — وان كانت مراسيل يحتج بها من يرى الاحتجاج بالحديث المرسل بل ومن لا يراه كذلك لانها متعددة يعضد بعضها بعضاً اه ولولا خوف التطويل لاتيت بجميع تلك الروايات ما صح عنده منها وما لم يصح ولكن لا أرى حاجة اليه فى مقالي هذا

روى ذلك ابن جرير الطبري وشايعه عليه كثير من المفسرين . وفى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طباع الناس ألفُ الغريب ، والتهافت على العجيب ، فولعوا بهذه التفاسير واتخذوها عقدة إيمانهم حتى ظنوا — وبعض الظن اثم — ان لا معدل عنها، ولا سبيل في فهم الآية الى سواها ، ونسوا ما رآه جمهور المحققين في تأويلها وذهب اليه الائمة في بيانها ، حتى ثارت ثائرة الشبه هذه الايام في نفوس كثير منهم وهم يزعمون انهم مسلمون واحسوا ان ذلك الضرب من التفسير لا يتفق مع اصل العصمة في التبليغ وان فيه من الحجة للعدو مالا سبيل الى دفعه فلجأوا الى اهل العلم الصحيح يلتمسون منهم بيان المخرج مما سقطوا فيه . وتوهموا انهم يقررون لهم ما الفوا، ثم ينقذونهم من الحيرة مع ثباتهم على ماحرفوا ، ولكن ضل رأيهم ، وخاب ظنهم .وسيقامون على المنهج ، ويرون الحق ناصعاً ابلج

في صحيح البخاري : وقال ابن عباس في « اذا تمنى القى الشيطان في امنيته » : اذا حدّث القى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته . ويقال امنيته قراءته « الا اماني » يقرأون ولا يكتبون اه فتراه حكى تفسير الامنية بالقراءة بلفظ (يقال) بعد ما فسرها بالحديث رواية عن ابن عباس وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين فما يدعيه الشراح ان الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التلاوة يخالف ظاهر العبارة ثم حكايته تفسير الامنية بمعنى القراءة بلفظ (يقال) يفيد انه غير معتبر عنده

وقال صاحب الابريز ان تفسير تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة مروي عن ابن عباس في نسخة علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ورواها علي ابن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقد علم ما للناس في ابن ابي صالح كاتب الليث وان المحققين على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تضعيفه . اهـ — هذا ما فى الرواية عن ابن عباس وهى اصل هذه القصة وقد رأيت ان المحققين يضعفون راويها

واما قصة الغرانيق فمع مافيها من الاختلاف الذى سبق ذكره جاء فى تتميمها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفطن لما ورد على لسانه وان جبريل جاءه بعد ذلك فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك فأنزل الله عليه « وما ارسلنا » الآيات تسلية له كما انزل لذلك قوله : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتريَ علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدتَ تركن اليهم شيئاً قليلاً . اذاً لأذقناك ضعفَ الحيوةِ وضعفَ المماتِ ثم لاتجد لك علينا نصيراً . » وفى بعض الروايات : ان حديث الغرانيق فشا فى الناس حتى بلغ ارض الحبشة فساء ذلك المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت « وما ارسلنا » الآية . قال القسطلانى فى شرح البخاري : وقد طعن فى هذه القصة وسندها غير واحد من الائمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هى من وضع الزنادقة اهـ وكفى فى انكار حديث ان يقول فيه ابن اسحق انه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعروفة عند المحدثين

وقال القاضي عياض : ان هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ثم نقل عن ابى بكر ابن العلاء ما يدل على سقم الرواية واضطراب الرواة فيها وما يقضي عليها بالوهن والسقوط عن درجة الاعتبار . وقال الامام ابو بكر ابن العربى — وكفى به حجة فى الرواية والتفسير — : ان جميع ما ورد فى هذه

www.alukah.net

القصة لا أصل له .

قال القاضي عياض والذي ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه سلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس اه وقد يكون ذلك لبلاغة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها . ثم قال القاضي : قد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أوان يتسود عليه الشيطان ويشبّه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى يُفهمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر او سهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أو قلبه لا عمداً ولا سهواً . او ان يشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل . اوان يتقوّل على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزّل عليه وقد قال الله تعالى « ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (ووجه ثان) وهو استحاله هذه القصة نظرا وعرفاً وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ، ممن يخفى عليه ذلك . وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ، (ووجه ثالث) انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، (١) وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ، ولم يحك احد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل . ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء . قال : ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشدّ من هذه الحادثة لو امكنت ، (٢) وما ورد عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلها ، واجتثاث اصلها ، ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ، (ووجه رابع) ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك » الآيتان . وهذان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ولولا ان ثبته لكاد يركن اليهم شيئاً قليلاً . فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً . وهم يروون في أخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه صلى الله عليه وسلم قال : افتريت على الله وقلت ما لم يقل . وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة

(١) الفينة كالعيلة الساعة والحين (٢) التشغيب تهييج الشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منهم ان يضلوك وما يُضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء » . قال القشيري ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل . قال ابن الانباري ماقارب الرسول ولا ركن . انتهى المطلوب من كلام القاضي رحمه الله . وقد اورد بعد ذلك كثيراً من القول في توهين الرواية وتكذيبها

اما ما ذكره ابن حجر من ان القصة رويت مرسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح وانه يحتج بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه كما قال في الابريز ان العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على اي وجه جاء وقد عدّ الاصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الاخبار التي يجب القطع بكذبها . هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الاحكام لا في اصول العقائد ومعاقد الايمان بالرسل وما جاؤا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له

هذا ما قاله الائمة جزاهم الله خيراً في بيان فساد هذه القصة وانها لا اصل لها ولا عبرة برأي من خالفهم فلا يعتد بذكرها في بعض كتب التفسير وان بلغ اربابها من الشهرة ما بلغوا وشهرة المبطل في بطله لا تنفخ القوة في قوله ولا تحمل على الأخذ برأيه

تفسير الآيات

والآن ارجع الى تفسير الآيات على الوجه الذي تحتمله الفاظها وتدل عليه عباراتها والله اعلم

لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية وقرأ شيئاً من القرآن ان قوله تعالى « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » الآيات يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة لا يعدونه ، ولا يقفون دونه ، ويصف شنشنة عرفت فيهم وفى امهم . فلو صح ما قال اولئك المفسرون لكان المعنى ان جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم ، فخلط فى الوحي المنزل اليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته الخ . وهذا من اقبح ما يتصور متصور فى اختصاص الله تعالى لانبيائه ، واختيارهم من خاصة اوليائه ، فلندع هذا الهذيان ولنعد الى ما نحن بصدده

ذكر الله لنبيه حالاً من أحوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم . وذلك بعد أن قال « وان يكذبوك فقد كذّبت قبلهم قومُ نوح وعادٌ وثمودُ وقومُ ابراهيم وقومُ لوط واصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . » — الى آخر الآيات . ثم قال : « قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ . فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزقٌ كريمٌ . والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم . وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » الخ فالقصص السابق كان فى تكذيب الامم لأنبيائهم ثم تبعه الامر الالهيُّ بأن يقول النبي صلى الله عليه وسلم لقومه انى لم أرسل اليكم الا لانذاركم بعاقبة ما انتم عليه ولأبشر المؤمنين بالنعيم واما الذين يسعون فى الآيات والادلة التى اقيمها على الهدى وطرق السعادة ليحولوا عنها الانظار ، ويحجبوها عن الابصار ، ويفسدوا اثرها الذى اقيمت لاجله ويعاجزوا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اى يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول وذلك

www.alukah.net

بلعبهم بالالفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها كما يقع عادة من اهل الجدل والمماحكة هؤلاء الضالون المضلون هم اصحاب الجحيم . واعقب ذلك بما يفيد ان ما ابتُلي به النبي صلى الله عليه وسلم من المعاجزة فى الآيات قد ابتلي به الانبياء السابقون فلم يبعث نبي فى امة الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ويضادُّون امانيه ويحولون بينه وبين مايبتغي بما يلقون فى سبيله من العثرات . فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعاً يجب ان تفسر الآية وذلك يكون على وجهين

﴿ الاول ﴾ ان يكون تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة وهو معنى قد يصح وقد ورد استعمال اللفظ فيه . قال حسان بن ثابت فى عثمان رضى الله عنهما :

تمنّى كتاب الله اول ليله وآخره لاقى حِمام المقادر

وقال آخر

تمنى كتاب الله اول ليله تمنّىَ داود الزبور على رسل

غير ان الالقاء لا يكون على المعنى الذى ذكروه بل المعنى المفهوم من قولك « ألقيتُ فى حديث فلان » اذا ادخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ولا يكون قد اراده او نسبت اليه مالم يقله تعللاً بان ذلك الحديث يؤدى اليه . ونسبة الالقاء الى الشيطان لانه مثير الشبهات بوساوسه ، مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من اهل الضلال يصح ان ينسب اليه ويكون المعنى : وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا حدث قومه عن ربه اوتلا وحياً انزل اليه فيه هدى لهم قام فى وجهه مشاغبون يحولون مايتلوه عليهم عن المراد منه ، ويتقولون عليه مالم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليصدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، ولا زال الانبياء يصبرون على ما كُذِّبوا وأوذوا ويجاهدون فى الحق ولا يستثنون بتعجيز المعجزين ، ولا بهزء المستهزئين ، الى ان يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجالدة ، فينسخ الله تلك الشبه ويجتثها من اصولها ، ويثبت آياته ويقررها ، وقد وضع الله هذه السنة فى الناس ليتميز الخبيث من الطيب فيفتتن الذين فى قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطلقون وراءها ويفتتن بها القاسية قلوبهم من اهل العناد والمجاحدة فيتخذونها سنداً يعتمدون عليها فى جدلهم ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه فيعلموا انه الحق من ربك فيصدقوا به فتخبت وتطمئن له قلوبهم . والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذى يستقر بالعقل فى قرارة اليقين ، وبين المغالطات وضروب السفسطة التى تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال واخرى ذات اليمين ، وسواء ارجعت الضمير فى « أنه الحق » الى ما جاءت به الآيات المحكمة من الهدى الالهى أو الى القرآن وهو أجلها فالمعنى من الصحة على ما يراه اهل التمكين .

هؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين آمنوا وهم الذين هداهم الله الى الصراط المستقيم ، ولم يجعل للوهم عليهم سلطاناً فيحيد بهم عن ذلك النهج القويم . واما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب او اهل العناد وزعماء الباطل وقساة الطباع الذين لا تلين افئدتهم ، ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزالون فى ريب من الحق او الكتاب لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون فى متصرفات شؤنهم اليه ، حتى تأتى ساعة هلاكهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بغتة فيلاقون حسابهم عند ربهم . أو ان امتد بهم الزمن ، ومادّهم الاجل ، فسيصيبهم « عذاب يوم عقيم » يوم حرب يسامون فيه سوءَ عذاب القتل او الاسر ، ويقذفون الى مطارح الذل وقرارات الشر ، فلا يُنتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسلبون ما كان لديهم ويساقون الى مصارع الهلكة ، وهذا هو العقم فى اتم معانيه وأشأم درجاته

ما اقرب هذه الآيات فى مغازيها الى قوله تعالى فى سورة آل عمران « هو الذى أنزلَ عليك الكتابَ منه آيات محكمات هنّ أمُّ الكتاب وأُخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتّبِعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله وما يعلم تأويله الا اللهُ . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذّكر الا أولو الالباب » وقد قالَ بعد ذلك : «ان الذين كفروا لن تُغنيَ عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وَقود النار » ثم قالَ : « قل للذين كفروا ستُغلَبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » الخ الآيات . وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح للاخرى . فالذين فى قلوبهم زيغ هم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . والراسخون فى العلم هم الذين أوتوا العلم . وهؤلاء هم الذين يعلمون انه الحق من ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فتخبت له قلوبهم وان الله لهاديهم الى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين يفتتنون بالتأويل ، ويشتغلون بقالٍ وقيل ، بما يلقي اليهم الشيطان ، ويصرفهم عن مرامي البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان ، وما يتكؤن عليه من الاموال والاولاد لن يغنى عنهم من الله شيئاً فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم اعمالهم ، فان لم يوافهم الاجل على فراشهم ، فسيغلبون فى

شبكة الألوكة www.alukah.net

هراشهم،[1] وهذه سنة جميع الانبياء مع امهم، وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه، وبين ما يستبقيه ومايذهب ببقائه، وكمالا مدخل لقصة الغرانيق فى آيات آل عمران لا مدخل لها فى آيات سورة الحج : هذا هو الوجه الاول فى تفسير آيات « وما ارسلنا » الى آخرها على تقدير ان تَمَنَّى بمعنى قرأ وان الامنية بمعنى القراءة والله اعلم

(الوجه الثانى فى تفسير الآيات) ان التمنى على معناه المعروف وكذلك الامنيـة وهى افعوله بمعنى المُنية وجمعها امانىّ كما هو مشهور . قال ابو العباس احمد بن يحيى : التمنى حديث النفس بما يكون وبما لا يكون . قال: والتمنى سؤال الرب وفى الحديث « اذا تمنى احدكم فليتكثر فانما يسأل ربه » وفى رواية « فليكثر » . قال ابن الاثير : التمني تشهي حصول الامر المرغوب فيه وحـديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقال ابو بكر : تمنيت الشيء اي قدرته واحببت ان يصير الىّ . وكل ما قيل فى معنى التمنى على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الامنية

ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً الى هـدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه ان كان رسولاً او جاء به غيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه الا وله أمنية فى قومه وهى أن يتبعوه ويحاوزوا الى ما يدعوهم اليه ، ويستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا اهوائهم باجابة ندائه ، ومامن رسول الا وقد كان احرص على ايمان أمته ، وتصديقهم برسالته ، منه على طعامه

(١) الهراش المواثبة والمخاصمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذى يطعم ، وشرابه الذى يشرب ، وسكنه الذى يسكن اليه ، ويغدو عنه ويروح عليه ، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك فى المقام الاعلى ، والمكان الاسمى ، قال الله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وقال : « وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين » وقال : « أفأنتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين » وفى الآيات ما يطول سرده مما يدل على امانيه صلى الله عليه وسلم بهداية قومه واخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به

وما من رسول ولا نبي الا اذا تمنى هذه الامنية السامية القى الشيطان فى سبيله العثرات ، واقام بينه وبين مقصده العقبات ، ووسوس فى صدور الناس ، وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والاحساس ، فثاروا فى وجهه ، وصدوه عن قصده ، وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالسلاح والقول حتى لقد يقهرونه ، فاذا ظهروا عليه والدعوة فى بدايتها وسهل عليهم ايذاؤه وهو قليل الاتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما القوه من العوائق بينه وبين ما عمد اليه فتنة لهم

غلبت سنة الله فى ان يكون الرسل من اواسط قومهم او من المستضعفين فيهم ليكون العامل فى الاذعان بالحق محض الدليل وقوة البرهان وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى اليه على قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل فى وسائله ، او يشاركه فى نصب شراكه وحبائله ، أنصار الباطل فى كل زمان هم اهل الانفة والقوة والجاه والاعتزاز بالأموال والاولاد والعشيرة والاعوان والغرور بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها او بعضها فى الرؤساء وذوي المكانة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الناس فتذهلهم عن انفسهم ، وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم ، فاذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من اوضار هذه الفوائن ، وفزعت اليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجد الا عند الضعفاء واهل المسكنة . فاذا التف هؤلاء حول الداعي وظافروه على دعوته قام اولئك المغرورون يقولون « ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » فاذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا هم بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ، ولكن الله غالب على أمره فيمحق ما القاه الشيطان من هذه الشبهات ، ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ، ويهب السلطان لآياته فيحكمها ، ويثبت دعائمها ، وينشىء من ضعف انصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلتهم عزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الشيطان هي السفلى ، « فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

وفي حكاية هذه السنة الالهية التي أقام عليها الانبياء والمرسلين . تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم عما كان يلاقي من قومه ووعد له بأن سيكمل له دينه ، ويتم عليه وعلى المؤمنين نعمته ، مع استلفاتهم الى سيرة من سبقهم . « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله قريب » هذا هو التأويل الثانى فى معنى الآية ويدل عليه ما سبق من الآيات ويرشد اليه سياق القصص السابق فى قوله «وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح » الخ . وانت ترى ان قصة الغرانيق لا تتفق مع هذا المعنى الصحيح . وهناك تأويل ثالث ذكره صاحب الابريز وانى انقله بحروفه وما هو بالبعيد عن هذا بكثير . قال بعد ذكر امانى الانبياء فى امنهم وطمعهم فى ايمانهم وشأن نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك على نحو يقرب مما ذكرناه فى الوجه الثانى :

«ثم الامة تختلف كما قال تعالى « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » فأما من كفر فقد القى اليه الشيطان الوساوس القادحة له فى الرسالة الموجبة لكفره . وكذا المؤمن ايضاً لا يخلو ايضاً من وساويس لانها لازمة للايمان بالغيب فى الغالب وان كانت تختلف فى الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات . اذا تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمنى لهم الايمان ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه امنية كل رسول ونبى والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه فى قلوب امة الدعوة من الوساويس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل فى قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به . فخرج من هذا ان الوساويس تلقى اولاً فى قلوب الفريقين معاً غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين» اه

وانت اذا نظرت بين هذا التفسير وبين ما سبقه تتبين الاحق بالترجيح لو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله القاضى البيضاوي وغيره ولكان الكلام فى الناسخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالكلام فى المنسوخ يجوز ان يلقى فيه الشيطان ما يشاء ولا نهدم اعظم ركن للشرائع الالهية وهو العصمة . وما يقال فى المخرج عن ذلك ينفر منه الذوق ولا ينظر اليه العقل . على ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد لا فى نظمهم ولا فى خطبهم ولم ينقل عن احد ان ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم الا ما جاء فى معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على ان القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت . ولا يخفى ان الغُرْنوق والغُرْنيق لم يعرف فى اللغة الا اسما لطائر مائى اسود أو ابيض أو هو اسم الكركى أو طائر يشبهه . والغرنيق (بالضم وكزنبور وقنديل وسَمَوْأل وفردوس وقرطاس وعُلابط) معناه الشاب الابيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق كما يسمى به ضرب من الشجر. ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون فى اصل العوسج اللين النبات . ويقال لِمَّة غُرانِقة وغُرانِقيّة اى ناعمة تفيئها الريح او الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ ولا شيء فى هذه المعانى يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها فى فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وامراء الكلام ، فلا اظنك تعتقد الا انها من مفتريات الاعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الاحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدُنك رحمة انك انت الوهاب »

(الحديث المرسل) هو الذى سقط من سنده من بعد التابعي والجمهور يتوقفون عن الاحتجاج به لجواز ان يكون الساقط غير صحابي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آثار علمية دينية

﴿ مضار الاثم والتقبيل ﴾

امريكا مصدر العجائب ومعدن الغرائب غير ان العجائب والغرائب فيها فقدت بتجاوزها حدود التواتر الصفات اللاصقة بالشواذ والنوادر لانها حلت عند اهليها محل الاشياء العادية عند غيرهم

ومن اعجب ما اتحفتنا به من غرائبها ما قرره حاكم ولاية نيوجرزي احدى ولاياتها من منع اشهى الاشياء الى الانسان ، وموضوع تغزل الشعراء في كل زمان ، واول ماينبعث اليه بعامل الغريزة كل عاشق ولهان ، واقوى مؤكد للألفة في قلوب الاحباب ، ألا وهو « لثم الثغور أو رشف الرضاب »

القارئ لهذا الخبر يحكم من اول وهلة ان الآمر بالمنع مصاب بخبل في عقله ولكن الاطباء اجمعوا على حسن صنعه لان جراثيم الامراض المعدية كالحمى الوافدة مثلاً مقرها المنخران والفم فاذا لثم واحد آخر في ثغره وكان احدهما مصاباً بهذا الداء أصيب الثاني به في الحال بالعدوى من الانف أو الفم فالاولى بمن يريد وقاية نفسه من الامراض ان لا يعرك مارن انفه بمارن انف من يقبل ثغره كما يفعل المتوحشون سكان بعض سواحل المحيط الهادي بل يحسن به ان يصافح من يريد السلام عليه باليد فان اليد خير وسيلة لتبادل التحية بين المهذبين

ولا يخلو الحال من ان ينتقد قصار العقول على حاكم نيوجرزي لكونه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اصدر قراراً لا يمكنه القيام بالرقابة على تنفيذه ويسخر به والسخرية فى مثل هذه الاحوال اقرب ما يتدرع به الجهال ولكن كم الوف من المنشورات والقرارات التى لو عمل بنصوصها لاتقيت المعاطب ودرئت المصائب لم تلبث ممثلة فى حيز خواطر الحكام ألا ريثما يجف مدادها ثم اندرجت فى طيّ النسيان ودخلت فى خبر كان ؟ . .

فقرار حاكم نيوجرزى لم يكن والحالة هذه مظهراً من مظاهر الجنون ولا عملاً قصد به مجرد التحكم فى مرؤسيه من الاهالى اذ لا يسلم عقل عاقل أن رجلاً تعهد اليه امور ولاية بأسرها وينقاد لاوامره جميع سكانها يقضي شهوراً وايامًا فى تشييد معالم قراره على اساسات متينة من الاسانيد العلمية بدون أن يأنس ميلاً من الاهالى الى ابطال عادة التقبيل الواضحة الاضرار بتأثيرها المادي فى صحة الانسان

فان الرجل شاهد من القوم فى ابان الامر تذمراً شديداً من ابطال عادة قديمة شائعة بينهم وهى تقبيل الانجيل بعد حلف اليمين امام القضاة وتتبع آثار المناقشات التى قامت بين القضاة والشهود بسبب ما كان يراه الفريق الاول من وجوب التقبيل وما كان ينزع اليه الفريق الثانى من الامتناع عنه واعتبر بما جنح اليه الشهود من الاصرار على الاباء وتفضيلهم دفع الغرامة المقررة قانوناً فى مثل هذه الاحوال على تقبيل كتاب لمسته شفاه الوف غيرهم من قبل . وليس الغريب فى الحادثة كلها تعنت فريق القضاة والشهود وتمسكهما بما ذهب كل منهما اليه وانما الغريب اتحاد السلالة السكسونية فى النزعات والاميال فانه ما شاع خبر الشروع فى منع التقبيل بنيو جرزى حتى قامت قيامة الميكروبين فى انكلترا وكنادا واستراليا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورفعوا اصواتهم مطالبين بمنع تقبيل الكتاب المقدس امام القضاة وحدثت بينهم وبين هؤلاء حادثات افضت الى مثل النتيجة التي ادى الخلاف اليها بين الفريقين فى ولاية نيو جرزى

وكما يعود الى الامريكيين الفضل فى اقتراح ابطال تقبيل الانجيل يعود اليهم فضل حل هذه المشكلة على أحسن الطرق حيث قرروا تجليد هذا الكتاب بمادة السلولويد (مادة من السلولوز القاعدة فى تركيبها النتر والكافور) بدلاً عن الجلد لانه بحالته الجديدة يمكن غسله وتطهيره بالمواد المطهرة عقب كل قبلة

ولكن مسئلة القبلة بوجه العموم كانت قد أخذت دوراً مهماً فى المناقشات بين الناس واتسع خرقها ولم يكن تجليد الانجيل بالسلولويد حاسما لها إذ تألفت فى الحال عصابة من الاهالي دعت نفسها « عصابة منع التقبيل » وسلمت مقاليد زعامتها لاحد نطس الاطباء فأثارت حرباً عوانا على اللثم والتقبيل وأبانت بالبراهين القاطعة مقدار ضررها بالصحة ومن هذه الادلة ان اليابانيين يجهلون عادة التقبيل ولذا كانت جسومهم أبعد من جسوم غيرهم عن الامراض ، وقد ناقضه فى هذه الدعوى طبيب امريكي عاش طويلاً بمدينة طوكيو عاصمة اليابان حيث قال ان اليابانيين لا يجهلون عادة التقبيل العامة فى جميع الشعوب وغاية الامر أن حكومتهم منعت من تقبيل الاطفال خوفاً من وصول الامراض اليهم بالعدوى

ومهما يكن من الامر فقد استدرجت العصابة الى حزبها كبار الاطباء وثقات العلماء وقرروا اصدار منشور ببيان ما يدعو الى التخلي عن عادة التقبيل المضرة فان القبلة تنقسم الى قسمين — قبلة يقصد بها مجرد الشهوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي لا يختلف اثنان في ضررها اذ امتزاج اللعابين بارتشاف الرضاب اقوى موصل للجراثيم من المريض الى السليم . وقبلة اصطلاحية وهي التي اتفق الناس عليها لاظهار شوق أو الاعتراف بصنيع حسن وتكون عادة في الوجنة او اليد ولسنا نرى ان ترك اثر من العاب الفم قد يكون مشحوناً بجراثيم الامراض المعدية عليهما يعد من مظاهرات الشوق او دلائل الشكر اذا كان مصير ذلك الاثر ان يكون مركزاً تنبعث منه جراثيم العدوى الى الكثيرين بواسطة من وسائط الانتقال التي يضيق المقام عن حصرها ولذا ننصح القراء بترك تلك العادة القبيحة فوق ضررها ونرجو ان يقوم بيننا امثال والي ولاية نيوجرزي ليرشدونا الى الصواب في اخص امورنا واجلبها نفعاً لنا

٢٠٢ .

« الحنين الى الوطن »

قال في المسامرة : حدثنا ابو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الخطيب الاديب قاضي كورة جيان بمسجد الاخضر بمدينة اشبيلية قال لما حملت نائلة بنت الفرافصة الكلبية الى عثمان بن عفان رضي الله عنه كرهت فراق اهلها فقالت لضب اخيها :

ألست ترى بالله يا ضب انني ... مرافقة نحو المدينة أركبا
أما كان في اولاد عمرو بن عامر ... لك الويل ما يغني الجباء المحببا
أبى الله الا أن أكون غريبة ... بيثرب لا ام لديّ ولا أبا

قال : وانشد في ابن سكرة بها بمسجد الشهداء .

ألا يا حبذا وطني واهلي ... وصحبي حين تذكرني الصحاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بلاد من غرائقة كرام بهم حلّى تميتى الشباب
وما عسل ببارد ماء مزنٍ على ظمأ لشاربه يشاب
بأشهى من تلقيكم الينا فكيف لنا به ومتى الاياب

وانشدتنى خديجد بنت عبدالوهاب بن هبة الله الصوفى القصار قول الاعرابية التى كان يهواها بعض خلفاء بنى العباس فتزوج بها فلم يوافقها هواء البلاد فلم تزل تتحل وتعتل وتتأوه مع ما هى عليه من النعيم واللذة والامر والنهي فسألها عن شأنها فاخبرته بما تجد من الشوق الى البرارى واحاليب الرعاء وورود المياه التى تعوّدت فبنى لها قصراً على رأس البرية بشاطئ الدجلة سماه المشوق يقابل مدينة سامرّا من الجانب الآخر وامر بالاغنام والرعاء ان تسرح بين يديها وتتراءى أمامها فلم يزدها ذلك الا اشتياقاً الى وطنها فمر بها يوماً فى قصرها من حيث لا تشعر بمكانه فسمعها تتنحب وتبكى حتى ارتفع صوتها وعلا نشهيقها وكبد الخليفة يتقطع رحمة فسمعها تقول :

وما ذنب اعرابية قذفت بها
صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الرعاة وخيمة
بنجد فلم يقض لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء العذيب وطيبه
وبرد حصاه آخر الليل حنت
لها أنّة عند العشاء وانة سحيراً ولولا انّتاها لجُنّتِ

فخرج عليها الخليفة وقال : قد قضى ما تمنيت فالحقي باهلك من غير طلاق . فما مر عليها وقت اسر من ذلك وسرى ماء فى وجهها من حينها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فعجب الخليفة والتحفت باهلها بجميع ما كان عندها فى قصرها وكان الخليفة يهواها ويغشاها فى اهلها اذا تصيد اه

اقول ومن هذا الباب اقول بعضهم :

وحبّب اوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

﴿ طبائع الاستبداد . ومصارع الاستعباد ﴾

كتاب جديد ظهر فى عالم الطباعة العربية — جديد فى وجوده جديد فى مباحثه ومسائله ، جديد فى حكمته وفلسفته ، وارشاده وسياسته ، حملت به فكرة عالم عامل ، ومحنك عاقل ، حلب الدهر شطريه ، وعرف ما له وما عليه ، ولما تم حمله ، وأراد الله ان يظهر فى الوجود فضله ، وضعته تلك الفكرة الوقادة ، والقريحة النقادة ، فى ارض الحرية ، من هذه البلاد المصرية ، فكانت جريدة المؤيد ، أول مهد له تمهد ، ثم لم يلبث ان تم فصاله ، وظهر فى اثر ولاده كماله ، وتم له استقلاله ، وعم القارئين نواله ،

اطال هذا الرجل النظر فى الاستبداد . فرأى انه هو المخرب للبلاد ، وتبصر مليّاً فى الاستعباد ، فعلم انه هو المهلك للعباد ، فدرس من هذين الامرين الامرّين طبائعهما ، وتعرف مصارعهما ، ثم اتحف ناشئة قومه بنتيجة علمه ، وثمرة عقله وفهمه ، فوضع لهم بدر التمام ، على طرف الثمام ، وقرب اليهم ما كان على بعد سنين واعوام ، فجعله على مسافة يوم او ايام ،

يشتمل الكتاب على خطبة فى سبب تأليفه واهدائه للناشئة . ومقدمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في علم السياسة والدعوة للكتابة في الاستبداد ويليه فصول في تعريف الاستبداد وذويه . والاستبداد والدين . والاستبداد والعلم . والاستبداد والمجد . والاستبداد والمال . والاستبداد والاخلاق . والاستبداد والتربية . والاستبداد والترقي . والاستبداد والتخلص منه وفي هذا الفصل ٢٥ بحثاً من اهم المباحث السياسية والاجتماعية ذكرها المؤلف « تذكرة للكتاب ذوي الالباب وتنشيطاً للنجباء على الخوض فيها بترتيب » وهذا الفصل الاخير وما فيه مما لم ينشر في المؤيد

اشار المؤلف لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته لذاته وللناس شغف بمعرفة الفضلاء النابغين من امتهم وحفظ اسماءهم والقابهم في الواح القلوب ودفاتر التاريخ . فأما الذين يعرفون شخص الاستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن افندي الكواكبي الحلبي وفضله ، فيقولون اجدر بهذا الكتاب ان يكون له ، واما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذي يطابق الرمز الى ان يجيء يوم يستبدل فيه هذا الرحالة التصريح ، بالرمز والتلميح ،

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد بشكل كتاب (المرأة الجديدة) وصفحاته ١٨٣ وثمنه خمسة قروش ويباع في مكتبة الترقي ومكتبة هندية ومكتبة الهلال ومن يدفع سبعة قروش اميرية يرسل اليه الكتاب مضموناً حيث كان والطلب يكون بهذا العنوان «القاهرة صندوق البوسطة نمرة ٥١٧ محمد افندي الوكيل» فنحث كل قارئ على قراءته ونرجو من مؤلفه ان يكتب لنا كتاباً آخر في المباحث ٢٥ التي وضعها تذكرة للكتاب فلا يوفيها حقها غيره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(تنبيه الافهام . الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام)

كتاب جديد اسمه يدل على شرف موضوعه وفائدة مباحثه من انشاء صديقنا الكاتب الفاضل رفيق بك العظم الشهير بغيرته وإجادته بمالايجيد فيه الا الأقل من كتابنا . والكتاب مؤلف من تسع مقالات خمس منها نشرت فى مجلة الموسوعات فكانت فى المكانة الاولى مما ينشر فيها . وقد وشّى ذيل هذه المقالات بهوامش زادت فى فوائدها . واجدر بالذين يبحثون فى هذه الأيام عن المدنية الاسلامية كيف كانت ولم زالت وكيف ينبغى ان تكون وما النسبة بينها وبين المدنية الغربية ان يقرأوا هذه المقالات ويتدبروها ويتوسعوا فى مسائلها بحثاً وحوارا وكتابة وخطابة ودعوة الى العمل وقياماً به . وسنتحف قراء المنار بشىء منها عند سنوح الفرصة وعسى ان يسبقونا الى قراءتها برمتها وهى تطلب من صاحبها ومن مكتبة الترقى وغيرها

(دليل الحيران . فى الكشف عن آيات القرآن . او (ترتيب زيبا)

لا يوجد مسلم يشتغل بالكتابة والعلم الا ويحتاج للمراجعة والكشف عن آيات من القرآن الكريم فى أوقات كثيرة ومثل المسلمين من يشتغل بعلوم دينهم ولسانهم العربى فمن لم يكن حافظاً يضيع وقتاً طويلاً فى طلب كل آية يحتاج الى الوقوف عليها ولذلك مست الحاجة الى طريقة تسهل المراجعة على طالبها وقد سبق المتقدمون الى اتخاذ طرائق لم نعرف منها الا ماعرفنا به الطبع فمنها كتاب (نجوم الفرقان . فى اطراف القرآن) وهو يذكر جميع كلمات القرآن مرتبة على حروف المعجم ويذكر فى جانب كل كلمة رقم السورة او السور التى وقعت فيها ورقم الآية او الآيات بالعدد . وقد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طبع فى المانيا وجعلت ارقامه افرنجية . ومنها (ترتيب زيبا) للحاج صالح ناظم ومعناه (الترتيب الجميل) وهو مرتب على حروف المعجم بحسب أوائل الآيات غالباً فمتى عرفت اول الآية تكشف فى فصل الحرف المبدوءة به تجدها . وقد جعل الفصول لاكثر الحروف على انواع لكل كلمة مما يكثر فى الكلام نوع . فالآيات المبدوءة بكلمة « إن » نوع والمبدوءة بكلمة (اذا) نوع والمبدوءة بأدوات الاستفهام على انواع وعلى ذلك فقس وكان هذا الكتاب قد طبع فى الاستانة العلية ونفدت نسخه فانبرى فى هذه الايام الفاضل الهمام ابراهيم بك رمزى فاعاد طبعه على نفقته فى مطبعة (التمدن) المتقنة ولكنه غيَّر اسمه بما ذكر فى العنوان وثمن النسخة منه ١٠ قروش وهو يطلب من المطبعة المذكورة بجوار ادارة المؤيد بمصر

باب التربية والتعليم

التعليم الفطرى والمدارس [1]

(المكتوب ٤٨) من اراسم الى هيلانة فى ١٥ اغسطس سنة ١٨٥

لو انى عهد الىَّ ببناء مدرسة كبرى للناشئين فى امة من الامم العظيمة لبذلت وسعي فى ان ابث فى جدرانها من العلم روحاً وعقلاً

ذلك لان القائمين على التعليم لم يزالوا فى سبات من الغفلة عما كان لمعاهدة التربية من التأثير فى خيال المتعلمين خصوصاً فى سنيهم الاولى ولقد كان القدماء انفذ منا ادراكاً فى سر التعليم بالمشاهدة وجروا فى ذلك

(١) معرب من باب الولد من كتاب اميل القرن التاسع عشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على نواميس الفطرة الانسانية الحقة .

ليست المعابد والبيع عند جميع الامم الا مدارس اتخذها الكهنة والقسيسون فى الاديان القديمة والحديثة صحفاً لمجموع عقائدهم ومذاهبهم بما وجدوه لذلك من الوسائل الكبرى فى فن العمارة ونحت التماثيل وصناعة التصوير . وبقاء العبادات الى الآن يدلنا على درجة انتقاش الرموز والصور الاعتقادية فى اذهان العامة فان مخترعات الخيال التى يبرزها الرسم للوجود الخارجى فى صور فخيمة تبقى شائعة بين الناس بعد فناء الفكرة التى انتجتها بعدة قرون يشهد لذلك بقاء مظاهر المعتقدات الجمادية مع ان الامم قد كفت من عهد بعيد عن توهم انها لا تزال على عادتها فى عبادتها

اذا كنا قد رفعنا هياكل للآلهة الباطلة كالحرب والروع والظفر بالاعداء وجميع بلايا الانسان ومصائبه فما لنا لا نرفع للعلم هيكلاً ؟ واىّ كلفة فى هذا العمل على امة عظيمة ؟ لا يقال ان اول عائق دونه هو قلة المال وغلاء المواد اللازمة لاقامته لانى أرى اننا فى غنى عن الذهب والمرمر والخشب النفيس وفى مقدورنا ان لا نتعرض فى انشائه لشيء من صنوبر لبنان ، ولا من نفائس المعادن التى تم بها العظم والجلال لهيكل سليمان ، فان فى الجبس بل فى الورق المقوى غناء عن ذلك كله فى سبيل التربية اذا وجد له أناس صُنّع اليدين يهيؤنه ويستخدمونه فى الدلالة على المعانى وقد اصبح اليوم من الميسور تحصيل اهم مثُل الاشياء الخلقية والصناعية بنفقات زهيدة وذلك بفضل ما اخترع من افراغ صب المواد فى القواليب وان فيما يوجد بمعاهد التمثيل عندنا من تماثيل الزينة وصورها لبرهاناً ناطقاً بان فى قدرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصور ان ينقل الرائى الى رومة[١] واثينا[٢] ومنفيس[٣] ببعض جولات يتحرك بها قلمه وبشيء من المغالطات البصرية لانه متى اتقن تمثيل ما يماثله من الاشياء فى شكله ولونه كاد أن يحدث فى الخيال ما يحدثه اصله من الاثر فلا عبرة بالمادة وبما يتخذ من الوسائل لبث الروح فيها مادامت الصورة تنبه المشاعر وتؤدى الى العقل معنى صحيحاً لما يراد تعريفه اياه .

كل دين اذا استكنهناه رأيناه يرجع الى فهم ما ذهب اليه اربابه من الآراء فى خلق العالم ونظامه لكن فهم هذه الآراء هو فى الغالب غاية فى الصعوبة وانه لولا الاستعانة بالرموز فى ادراكها لنبت عنها عقول الكافة نبوًّا كلياً وأما الهيكل الذى أقصد رفعه للعلم فهو معرض تتجلى فيه الحوادث على الناشئين بل هو تاريخ حيٌّ محسوس للعالم الذى يعيشون فيه مواده كلها موجودة لكنها متفرقة فيما عندنا من المتاحف والمكتبات والمجموعات ونحن عنها غافلون فليس من الحق ان يكلف اليافع بالتماسها فى أماكنها الان ما فى هذه الاماكن من المظام النخرة والحيوانات المصبرة وجذاذ الاوثان المكسرة انما يفيد العلماء وأما الاحداث فاللازم لافادتهم ايجاد مشهد تجتمع لهم فيه المثل الحية الكبرى للانسان وغيره من المخلوقات على صورة جاذبة لنفوسهم هذه معارضنا العامة التي تقام فى باريس ولوندرة قد تعلم منها الجهلة (وهم فى كل أمة سوادها الاعظم) من مناشئ الصناعة وتوزع الاجيال

(١) رومة هي عاصمة ايتاليا الآن وكانت فى غابر الازمان عاصمة مملكة الرومانيين ثم عاصمة لولايات السلطة الروحية ومقراً للبابا كما انها مقره الآن (٢) اثينا هى مدينة شهيرة من القدم فى بلاد اليونان وهي الآن قاعدة حكومة تلك البلاد (٣) منفيس مدينة كانت عاصمة لمصر فى الازمان الغابرة اطلالها قريبة من القاهرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على سطح الارض واحوال الترقي في الامم المختلفة اكثر مما يتعلمونه من جميع الكتب التي وضعت في التدبير السياسي وتقويم البلدان فكيف اذا عززت مشاهدة الاشياء وكملت بتعليم خاص . تلك المعارض لا يتسنى اقامتها مسانهة وهي فوق ذلك لا تحتوي الا على طائفة من الوقائع والامور المخصوصة واذا كنت قد نوهت بها فانما قصدت بذلك ان ابين لك مايعود على الاحداث من الفائدة اذا اقيم لهم معهد آخر للعلوم تمثل لهم فيه صورها .

أصبح علم الكرة الارضية خلواً مما يستميل نفوس المتعلمين مورثاً للسآمة والضجر بيمن ما رسمناه له من الخرائط والقناه فيه من الكتب أفلا يكون الحال على خلاف ذلك لو أن هذه الخرائط استعيضت بقماش تصور عليه الارض وما فيها تصويراً اذا جال النور في ارجائه ضاعف مغالطة بصر الطفل فخيّل له انه على الجانب الآخر للمحيط مثلا ؛ وليس يلزم لذلك الا مصور صادق في عزيمته باذل نفسه من اجل البلوغ الى غايته

قام بفكر امريكي شجاع اسمه جون بانفارد يوماً من الايام ان يصور مجرى نهر المسيسيبي[1] فركبه وحده في قارب مكشوف مصرّاً على انفاذ فكره غير مبال بما كان يعترضه من الصعوبات الكثيرة ويعتريه من الآلام الشديدة فيبست يداه وخشنتا بسبب استعمال المجذاف واحترق جلده بحر الشمس فصار عما قليل كواحد من هنود امريكا في لونه وقضى اسابيع كاملة بل شهوراً لم يصادف فيها انساناً يكلمه ولم يكن له رفيق سوى قريبته بلى كانت هذه الرفيقة تتكلم باعلى صوت كلاماً حقاً لا خطأ فيه يُفهم بعض

(١) المسيسبي نهر عظيم في امريكا الشمالية يصب في خليج المكسيك بالقرب من مدينة نوفل اورليانس وطوله ٥٥٠٠ كيلو متر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طيور النهر والاجمة . وكان يخرج فى كل مساء من قاربه الى البر ويوقد ناراً فيشوى عليها ما يصطاده ثم يرقد ملتفاً فى غطائه مكفئاً فوقه القارب ليكون له جنة دون الحيوانات الوحشية وسقفاً يقيه طل الليل وكان عند شروق الشمس يهب من نومه ويمضى عامة يومه فى اجتياز النهر من شاطئ الى آخر على التوالى طلباً لمنظر جديد فكان يسترعي طرفه فى مكان خليج عميق وفى آخر سرب من الطير وتستلفته فى ثالث جزيرة صغيرة علتها خضرة نضرة وهو لا يفتر عن تسويد ما يلاحظه فلم يغادر شيئاً مما يستحق التصوير الا رسمه خطفاً واختلاساً ولما فرغ من تقييد اشاراته وملاحظاته اتخذ له فى المدينة المسماة لويسفيل بولاية كنتوكي[٢] بيتاً من الخشب حيث أنشأ يصور ما قيده على القماش وما كان اطوله فقد بلغ ذرعه ثلاثة اميال . لا شك فى ان ذلك المصور كان اهلاً لان يأتى بطرفة من الطرف وان كان رسم مناظر المسيسيبي ليس فى الحقيقة الا حكاية صادقة لسفره خطها قلم الرسم خطاً بطيئاً ونحن على كل حال نرجو الله سبحانه ان يقيض لنا من يحتذى مثال جون باشارد من المصورين وان يهبهم من الاقدام والاخلاص للعمل ما وهبه فانه لو تحقق ذلك لاصبحنا بسطح الكرة التى نسكنها اعلم مما نحن الآن بكثير .

وليت شعرى اى مانع يحول دون انفاذ عمل كهذا يكون تاريخاً للارض ومن يقطنها من الامم ؟ ربما قيل ان ذلك هو ما يقتضيه من انفاق المال الكثير فأقول هذا مسلم ولكننا ننفق فى تبديل سلاح بآخر أو طريقة

(١) كنتوكى هي احدى الولايات المتحدة بامريكا الجنوبية سكانها ١٨٥٤٥٠ نفساً وعاصمتها فرنكفورت .

من طرق القتال بغيرها أو فى بناء بارجة أو اقامة حكومة جديدة متوسطة مدة بقائها ثمانية عشر شهراً على الاكثر اضعاف ما تقتضيه منا طريقة التربية المؤسسة على نواميس الفطرة الانسانية .

لاشأن لنا فى ذلك وعلينا التسليم والامتثال فان هيكلاً كالذى وصفته تتجلى فيه الوقائع والمعانى انما هو صورة من صور الخيال لا وجود له فى الخارج ولن يوجد بلا شك فيجب علينا اذن بناؤه فى المستقبل فى ذهن « اميل » بمواد اخرى . اه

(المنار) ان ما قاله المؤلف فى الاديان غير مسلم على اطلاقه ويظهر انه لم يطلع على الدين الاسلامى الذى هو دين الفطرة والمرشد الى سنن الفطرة فى التربية والتعليم وان كان يستنير باشعة شمسه من حيث لا يشعر

الاخبار التاريخية

(ملكة الانكليز)

تقدم فى الجزء الثانى والثلاثين من السنة الثالثة ذكر مولد هذه الملكة العاهلة ونشأتها وجلوسها وتتويجها وزواجها ونلم هنا بباقى سيرتها (اخلاقها ودينها) تقدم فى مطاوى الكلام ما يشعر بدماثة اخلاق الملكة فيكتوريا وتهذيبها ويؤثر عنها شدة التمسك فى مذهبها البروتستنتى ولكنها كانت تظهر الاستياء من التحامل على رعاياها الكاثوليك . ومما يؤثر عنها فى المحافظة على يوم الاحد ان احد الوزراء أراد ان يعرض عليها أوراقاً ذات بال فى مساء السبت فرأى الوقت يضيق عن النظر فيها فاستأذنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بان يحضر لعرضها فى صباح اليوم التالى فقالت : إن غداً الاحد ياحضرة اللورد . فقال : ان مصلحة البلاد لاتسمح بالتأجيل قالت اذن لا بأس وفى صبيحة ذلك اليوم حضر ذلك الوزير سماع الوعظ فى الكنيسة مع الملكة كعادة امثاله وكان الوعظ فى « الواجب على المسيحى يوم الاحد » فلما انتهى قالت الملكة للوزير « هل أعجبك الوعظ » قال « كثيراً ياجلالة الملكة » قالت « لا اخفى عنك انى انا التى اوعزت الى الخطيب بهذا الموضوع فعسى أن يؤثر كلامه فينا » ثم أمرته ان يحضر فى اليوم التالى لعرض الاوراق ففعل . ويؤثر عنها انها قالت : « ان السر فى عظمة انكلترا هو الكتاب المقدس » وقالت : « ان التجارة وحدها لاتجعل الامة عظيمة وسعيدة وانكلترا انما بلغت ما بلغت من العظمة والسعادة بمعرفة الاله الحقيقى » . نعم ان الانكليز اشد تمسكاً بالدين واقل تعصباً على المخالفين من جيرانهم الفرنساويين ولذلك تقدموا عليهم ولكن البوير اشد تديناً من الانكليز ولذلك انتصروا عليهم وقاوموهم الى الآن ولا يزال الحرب بينهما سجالا مع انهم فى الانكليز كالشامة فى جلد البعير . فليعتبر شبان المصريين الذين يتوهمون ان المدنية انما تكون بالكفر والتعطيل واتباع الشهوات البهيمية والغرور بالزخارف الظاهرية

(سياستها) الممالك انما تنهض وترتقى برجالها ووزرائها المسؤلين المحنكين ودولة انكلترا أغنى الدول بالساسة المهرة وقد رزقت الملكة فيكتوريا بانصار منهم نهضوا بالبلاد فى عهدها نهوض الاسود وهم اللورد ملبرن . واللورد روبرت بيل . واللورد جون رسل . واللورد بامرستون . واللورد بيكنسفيلد . وارل دربى . وارل ابردين . والمستر غلادستون . واللورد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وزبرى . واللورد سالسبرى . هؤلاء هم الذين تولوا الوزارة الكبرى على عهدها ولهم من سائر الوزراء والنواب والحكام اعوان وانصار على شاكلتهم لانهم نتائج تعليم وتربية واحدة . ويظن كثيرون ان الملكة لم تكن الا آلة صماء لا عمل لها بذاتها ولا ارادة لها فى حكومتها والصواب انها كانت تنظر الاشياء الكلية وتبدى رأيها فيها . ومن الشواهد على هذا ان فى اللورد ملبرن حاول اقناعها بالادلة الخطابية بأن تصدق على مشروع مهم وكان يخاف ان لا ينجح فى ذلك فنوه بأمر المشروع ما شاء ان ينوه وقال « انه ياجلالة الملكة عظيم الاهمية » فقالت له : « ان اعظم المسائل واهمها عندي الآن هو امر التوقيع على مشروع لم أقتنع به »

وقد اتسع عمران الدولة البريطانية على عهدها فقد كانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها يوم تولت عليها ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ١٦٨ مليوناً وما تولت عنها الا ومساحتها تزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها يزيدون على ٤٠٠ مليون . وكان دخل الحكومة الانكليزية حين وُليت ٥٠ مليون جنيه من بلادها و ٢٥ مليون من الهند وبلغ قبل أن وَلت ١٢٠ مليوناً من بريطانيا وحدها ونحو ٧٠ مليوناً من الهند وثلاثين من استراليا و ٢٠ مليوناً من سائر المستعمرات

وكان للملكة نفوذ شخصي عظيم فى اوربا لكونها امرأة ولكبر سنها ولوشيجة الرحم المشتبكة بينها وبين اعظم ملوك الارض كاهل الالمان وقيصر الروس . فكانت تحل بكتاب تخطه يمينها ما لا تحله النفاثات فى عقد السياسة من بواقع الرجال . ولذلك يظن ان بريطانيا قد فقدت بفقدها شمس المجد ونجم السعد وانها لن تكون بعدها كما كانت والله علام الغيوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(تهنئة واستماحة) نهنئ القراء الكرام بعيد النحر المبارك وبمناسبة العيد وترك عمال المطبعة العمل قبيل نصف الشهر لا يصدر منار نصف ذي الحجة فنرجوهم السماح

(وسام الافتخار المرصع) انعم مولانا السلطان الاعظم ايده الله تعالى على اخلص المخلصين لذاته الكريمة عطوفتلو احمد عزت بك العابد بهذا الوسام العلي الشأن الذي هو جدير به فنهنئ عطوفته بذلك

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

(السنيون والشيعة في حمص)

كتب الينا الاديب المهذب الحاج محمد طه السكاف الحمصي رسالة مطولة يشرح فيها اموراً تقع في بعض القرى التابعة لحمص من الخلاف والنزاع والتفرق والشقاق بين الفريقين الذين يدعون اهل السنة والذين يدعون الشيعة وذكر بعض المسائل الخلافية التي يكثرون فيها الجدال والمراء كمسح الرجلين في الوضوء والمتعة والمفاضلة بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم . ومن اعجب ما ذكره قوله ان العلماء في حمص يكفرون الشيعة بمسئلة مسح الرجلين ويمنعون الناس من اكل ذبائحهم مع انها مسئلة اجتهادية ويشهد لمذهب الشيعة فيها ظاهر القرآن فان اعراب « وامسحوا برؤسكم وارجلكم » على قراءة النصب بالعطف على المحل اقرب من اعرابها على قراءة الجر بأن الارجل مجرورة بالمجاورة بل هذا غير معروف عن العرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في مثل هذا التركيب . ولا ينافي صحة المسح ثبوت الغسل في السنة فانه مسح وزيادة ولذلك ارجحه بالعمل مع الاعتقاد بمقابله . وعهدنا بالعلماء الراسخين انهم يتوقفون عن تكفير من يخالفهم في الاصول الدينية اذا كان متأوّلاً وان كانت مما يكفرون به غير المتأوّل .

وذكر الكاتب مسئلة فظيعة جداً وهي ان رجلين (احدهما الملازم مصطفى اغا والثاني احمد بن علي الداغستاني) شتماه ولعناه وضرباه على وجهه بالنعال حتى كاد يموت ذلك بأنهما اتهماه ببغض سيدنا الصديق رضي الله عنه وشتمه وما كان الصديق شتاماً ولا لعاناً ولا معتدياً ولا راميا للناس بالبهتان . وقد كانا سألاه عن الصديق فذكره بالخير واستمطر له الرضوان من الرحمن فلم يبالا بقوله ولكن بما نم عليه الفاسقون . ثم انه ثبتت براءته عند القاضي الشرعي بعد ما لبث في السجن سبعة عشر يوماً

هؤلاء الناس يزعمون انهم على هدي الاسلام ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، الذي أُمر ان يخاطب عبدة الاصنام ، بمثل « وانّا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ، قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون » ولولا هذه الطريقة الالهية المثلى لما ألفت قلوبهم « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

هؤلاء المتحمسون المتعصبون وامثالهم هم الذين فرقوا كلمة هذا الدين وجعلوا اهله شيعاً حتى صار بأسهم بينهم شديداً ، وذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، وتقوضت صياصيهم ، وتمكن العدو من نواصيهم ، وذاقوا مرارة الخلاف ، وآن لهم ان يعودوا الى الائتلاف ، فعسى ان يكون العلماء أول من يسعى بجمع كلمة المسلمين ووحدتهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بعض البدع فى زيارة قبور الاولياء

قال العلامة الالوسى فى باب الاشارة من تفسير سورة النور مانصه قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » إشارة الى انه لاينبغى لمن يريد الدخول على الاولياء ان يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المَدَد الروحانى على قلبه المشار اليه بالاستئناس فانه قد يكون للولى حال لا يليق للداخل ان يحضره فيه وربما يضره ذلك . واطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الأولياء قدس الله تعالى اسرارهم فقال ينبغى لمن اراد ذلك ان يقف بالباب على اكمل ما يكون من الادب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالباً الاذن ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولى المزور فى ذلك فان حصل له انشراح صدر ومدد روحانى وفيض باطني فليدخل والافليرجع . وهذا هو المعنى بأدب الزيارة عندهم ولم نجد ذلك عن احد من السلف الصالح . والشيعة عند زيارتهم للأئمة رضى الله تعالى عنهم ينادى احدهم : أأدخل يا امير المؤمنين او يا ابن بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام او نحو ذلك ويزعمون ان علامة الاذن حصول رقة القلب ودمع العين وهو ايضاً مما لم نعرفه عن احد من السلف ولا ذكره فقهاؤنا وما اظنه الا بدعة ولا يعد فاعله الا مضحكة للعقلاء . وكون المزور حياً فى قبره لا يستدعى الاستئذان فى الدخول لزيارته . وكذا ماذكره بعض الفقهاء من انه ينبغى للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حياً كما لايخفى

وقد رأيت بعد كتابتى هذه فى « الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم » صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكي ما نصه : قال بعضهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وينبغي ان يقف يعني الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن في الدخول على العظماء انتهى وفيه انه لا أصل لذلك ولا حال ولا ادب يقتضيه انتهى . ومنه يعلم انه اذا لم يشرع ذلك في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم مشروعيته في زيارة غيره من باب اولى فاحفظ ذلك والله يعصمنا من البدع واياك اهـ

« الموالد »

جاء في جريدة الوطن الغراء تحت هذا العنوان ما نصه

حضرات القراء أو المشتركين من عوام المسلمين وعلمائهم وفقرائهم وأغنيائهم لا تتوهموا أني مسيحي او اسرائيلي أبوذي لا وشرف الاسلام وذويه ما انا الا رجلا مسلماً (كذا) أباً واماً وجدوداً قد كنت في شبيبتي جاهلا والشباب جنون لا أدري ما هو الدين ولا ما هي الفضيلة . كنت اغضب اذا ارشد العالم الى الحقيقة واجاري الجهلاء في تسميته (فيلسوف) اي غير مسلم حسب زعمهم مع أن المعنى بضد ذلك — وأفرح وينتعش فؤادي من خزعبلات الجهلاء التي ما اضر العوام الا الاصغاء اليها ولا اوقف الدين في احرج المواقف الا تقاعس العلماء وتركهم هؤلاء الجهلاء يخوضون صفوف الدين ويهددون حصونه بترهاتهم الكاذبة حتى من الله علي بذرة من العقل وأبلغني من العمر التاسعة والعشرين وارشدني الى الطريق القويم فذهبت الى طنطا في المولد الرجبي هذا العام ونظرت الموكب الذي يقوم به رجال الطرق والاشاير نظرة افقدت حواسي من شر ما لاقيته من الخرافات التي أفضت بالدين الاسلامي في البلاد المصرية الى هذه الدرجة لقيت اللصوص والمتفقهين يذكرون الله بالسنتهم وعيونهم تتنازل مع النساء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأفواههم ترسل واسع التقبيل اليهن .

لقيت الفقهاء يرتلون آيات القرآن فى الطريق . لقيت الطبل والزمر يشنفان الآذان . لقيت المغنين ينشدون (عزيز حبك) و (كان عقلك فين) . لقيت النساء حاملات أولادهن على اكفهن خلف المواكب يزغرتن كأن السيد يزف للختان أو للتأهيل

هل اصل الموكب ياحضرات العلماء كان كما نراه الآن وهل كانت هذه الخرافات موجودة فيه فى الزمن السابق أم كان بخلاف ذلك وهل هذه البدع من ضمن واجبات الدين والسيد محتاج اليها أم لا . اسئلة نوجهها الى حضراتهم ونرجوهم الاجابة عليها وعن الباعث لتغاضيهم عن ابطال هذه العادات الخبيثة حتى نكتفي مؤنة تضاحك الغير علينا ولهم جزيل الفضل . اه بحروفه (اسماعيل يسري بالقوشية)

(النعل المعبودة)

ان فى مقام الشيخ الكلشنى المشهور بالولاية نعلاً عتيقة منسوبة لهذا الشيخ يعتقد عوام المصريين ان فيها سراً عجيباً وهى ان نقاعتها تطفىء نار العشق وتبرد حرارة الغرام ، وانها على العاشقين برد وسلام ، وان لها فوائد اخرى وهى دائماً منقوعة فى الماء فيأتى النساء والرجال ويشربون من ماءها للتبرك به . ومن كانت تهم زوجها أو غير زوجها ممن يهمها شأنهم بالعشق تسقيه شيئاً من هذا الماء ولو بحيلة لا يشعر بها كأن تجعل الماء الذى تجتلبه من نقاعة النعل فى سقائه او تمزجه بشرابه . سمعت هذا من كثيرين وسأقصد مشاهدته بنفسى ان شاء الله تعالى . اما كون هذا عبادة فسيأتى بعد

www.alukah.net شبكة الألوكة

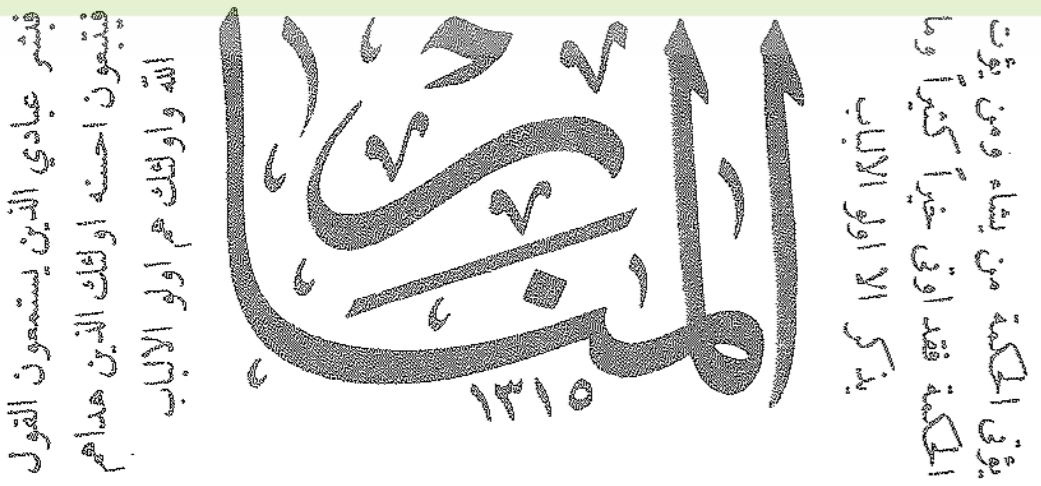

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة محرم الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١)

الانتقاد

« من مقالات مولانا الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده »

« مفتي الديار المصرية »

﴿ ما وعظك مثل لائم * وما قوّمك مثل مقاوم ﴾

الانتقاد نفثة من الروح الالهيّ في صدور البشر تظهر في مناطقهم سوقاً للناقص الى الكمال وتنبيهاً يزعج الكامل عن موقفه الى طلب الغاية مما يليق به . الانتقاد قاصف من اللائمة تتنفس عنه القلوب وتنفتق به الالسنة لتقريع الناقصين في أعمالهم ودفع طلاب الكمال الى منتهى مايمكن لهم

جعل الله للحياة قواما وقوام الحياة بالادراك

انما الانسان كون عقليّ سلطان وجوده العقل فان صلح السلطان ونفذ حكمه صلح ذلك الكون وتم امره . ان الله لم يهمل العقل من ناصرين عزيزين حاذقين احدهما له والثاني له وعليه أما الاول فما قرن الله به من غريزة الميل للافضل ، والاصطفاء للأمثل ، وأما الثاني فما ألزمه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصانع من الانقباض عن الدون ، والنفور عن منازل الهون ، فذاك يحدوه ، وهذا يسوقه ، وذاك يزين له الطلب ، وهذا يزعجه الى الهرب ، وكل منازل العقل صعود الا ادناها فعجز يقف بأهله على شفير العدم ، وكل منزلة بعد الادنى دنوٌّ من الكمال ، غير ان ما يسمو اليه العقل ، أشبه بما ينبسط اليه الوجود ، يمتد الى غير نهاية ، ويرتفع دون الوقوف عند غاية ، فليس يصل متتبع الكمال الى مقام الا ويرمى بطرفه الى ابعد منه . ومساقط العجز وبيئة المقام ، كثيرة الآلام ، تستوكرها افاعي الهموم ، وغائلات الغموم ، وقد جعلها الله من وراء العقل كلما التفت اليه راعه هول منظرها فتحفزَ عنها ، الى منجاه منها ، ولا يزال يزجيه الخوف وتطير به الرغبة حتى يدنو من رفرف السعادة الاعلى

ولكن كلال البصائر البشرية قد يقف بها عند مظاهر غرارة ، وظواهر ختّارة ، فتخالها طلبتها ، وتحسبها منيتها ، ولا تدرى ان بها هلكتها وفيها منيّتها ، فمثلها مثل الطير ينظر الى الحب المنثور ويَنبَى عن الفخ المنصوب فاذا سقط للالتقاط وقع فى يد الحابل أو مثل المفترس يلوح له لائح الفريسة ولا يشعر بما أعد له صائده فاذا وثب عليها اتاه الصائد من مقتله ، وأعجله عن ما كله ،

لهذا وكل الله بالعقل منبهاً لا يغفل ، وحسيباً لا يهمل ، وكالئاً لا ينام يزعج الواقف ، ويحثحث المتريّث ، ويمسك الراجف ، ما سكن ساكن الى حلال ، ولا قنع قانع بمنال ، الا هتف به ان ما تطلب امامك . ولا أوغل موغل فيما لا ينفعه ، ولا أوضع موضع الى ما يضره ، الا صاح به : تعست الجدود ، وأضرعت الخدود ، فتحفض من سيرك ، وقوم من سيرك والا فالذل مقبلك ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والهلكة مصيرك . ذلك الواعظ الحكيم والمؤدب العليم هو (الانتقاد) ينبث فى الفؤاد ثم يتجلى فى البيان ، على أسلة اللسان ، فيفقهه العالمون ، ولا يهمله العاملون ، «فطرة الله التى فطر الناس عليها» أودع فى كل ناطق بصراً بشأن غيره أشد احاطة من بصره بشأن نفسه ومكن كلاً من تمييز أحوال الآخر حسنها من قبيحها ، وفاسدها من صحيحها ، ثم دفعه للنطق بما ألهمه ، والقضاء بما أحكمه ، فكان لكل انسان ابصار بعدد الناظرين اليه ، والعارفين بما عليه عمله ، كلها كبصره تريه الخير فيطلبه ، وتكشف له الشر فيجتنبه ، وجعل الله الناقدين اقساماً فمنهم ناظر الى الفضل لا يعدوه فهو يذكر المنقبة ، ويغُض عن المثلبة ، ومن هذا القسم المفرطون فى الوفاء من الاصدقاء . ومنهم رقباء النقائص وجواسيس العيوب يروُون المساآت ، ويسكتون عن الحسنات ، وفيهم الحسّاد ، واهل الاحقاد ، ومنهم ناظرون بالعينين ، عارفون بالوجهين ، يذكرون للكمال نُبله ، ويلزمون النقص ويله ، وهؤلاء فى أعلى المنازل وفيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله * ومن الناقدين فاسقون يكتمون ما يعرفون ، ويهرفون بما لا يعلمون ، وهم فى أخس المنازل . وليس فى الناس الا من تجتمع هذه الاقسام له وعليه . وما جعل الله بشراً يسلم منها ويحرم من بعضها فكأنها التى قال فيها « وان منكم الا واردها » وكلها صدى صوت الكمال الالهي الأعلى ينادى الكاملين ان يستزيدوا ، والناقصين ان يستجيدوا ،

هل لجاحدٍ ان يصغِّر قدر هذا الحسيب على أيّ وجه كان حسابه ؟ أو لجاهل ان ينكر حكمة الله فى تقييضه لنا ؟ او لواهم ان يذهب الى انه ليس من نظام الفطرة ؟ وانى أحيلك على خواطر نفسك اذا بلغك وانت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غربي مثلاً ان ملك الصين غدر بأحد أوليائه أو استصفى أموال رعيته او كلفهم ما لا يطيقون احتماله او اهمل فى مصلحة بلاده حتى تجرأ عليها اعداؤها او جبن عن دفع حادث ألم به وكان يستطيع دفعه ألا ترى من قلبك امتعاضاً عليه ومن نفسك ازراء بعمله وفى لسانك لهجة بلومه وهو منك على بعد المشرقين ؟ ولئن وصلت اليك روايات عدله ورعايته حقوق بلاده وحفظه لذمامه وجدت اليه من فؤادك ميلاً ومن رأيك لعمله استحساناً ومن لسانك عليه ثناء

ولو شئت حاكمتك الى مذاهب ميلك عندما تنظر فى تاريخ لمن سبقك فان مثّل لك النظر فضلاً فى سيرة ، أو خزية فى جريرة ، ألست تجد من ميلك انبساطاً الى فواضل الغرر ، وانقباضاً عن مخازن العرر ، ثم انطلاقاً الى نشر ما وجدت ثم رأيت عضداً منك لاحدهما كأنه قائم يستنصر فانت تنصره ، وتغيّظاً على الآخر كانما يدعوك لعونه فانت تخذله ،

لا جرم ان النقد نائرة غريزية تقدح شررها على السابقين واللاحقين وكل نقد فحشوه لوم حتى ما كان منه قاصراً عند بث المحمدة والاقرار بالفضيلة فان حمد الكامل عذل للناقص على التقصير وازعاج للمحمود وزجر له عن ملابسة الاعياء فكأنى وصاحب الثناء يقول : ألا أيها القاعدون انهضوا ، ويا أيها المبرزون اركضوا ، واحذروا الوقفة فانها بداية القهقرى . تلك اقلام الحق ، فى السنة الخلق ، لا يصم عن نداءها الا أصم ، ولا يغبى عن انذارها ألا أبهم ،

على ذلك قام النظام الانساني فلولا الانتقاد ما شب علم عن نشأته ، ولا امتد ملك عن منبته ، أترى لو اغفل العلماء نقد الآراء واهملوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البحث فى وجوه المزاعم اكانت تتسع دائرة العلم ، وتجلى الحقائق للفهم ، ويعلم المحق من المبطل ؟ اولو اغمض الاعداء والاولياء عن سياسة السائس ، وتدبير الحاكم ، وهجروا النظر فى قوة الملك ، ولم يقرعوا كل عمل بمقارع النقد ، اكانت تستقيم محجة ، وتعتدل حجة ، او تعظم قوة ؟ كلا بل كان يتحكم الغرور ، وتتسلط الغفلة ، ويعود الصواب خطلاً ، والنظام خللاً ، تلك سنة الله فى الاوّلين ، وهى كذلك فى الآخرين ،

فالمغبوط فى حاله من يستمع قول اللائمين ، ويستطلع خواطر المعترضين ، ويتصفح وجوه المتنكرين ، ذلك روح الحياة فيه يطلب حاجاته ، ويتحفظ من آفاته ، وليس فيما يملك الحازمون انفس لديهم ، من الانحاء عليهم ، بما ينبههم اذاغفلوا ، ويعلمهم اذا جهلوا ، ويهديهم اذاضلوا ، وينعشهم اذا زلوا ، وكما توجد نفائس الارشاد هذه عندالاولياء ، توجد عند الاعداء ، بل هي عند هؤلاء اجود فانهم يرفعون للمعايب اعلاماً بينة حتى لاتعود فيهاشبهة لناظر واحجى بالعقل ان لا يمج من الانتقاد شيئاً حتى اكاذيب اهل الضغينة ، ورجوم ذوي السخيمة ، على مخالفتها للحقيقة . فان اباطيل اللوم تكون للعقل بمنزلة المسالح تقام فى الثغور زمن السلم حذراً مما عساه يطرقها من عدوان المغيرين عليها واقل ما يكون من العاقل فيها ان يقول : قيل فينا ولم نعمل فكيف بنا لو عملنا . فهي ان لم تهده الى مطلب ضل عنه ، ولم ترد اليه فائتاً كان ينفلت منه ، فقد تحفظه من السقوط فيما يجعل الكذب صدقاً ، والباطل حقاً ، فمن فسق لسانه ، وخالف بيانه جنانه ، وجاء يغير الحق فى ثلب غيره فقد افسد نفسه لصلاح عدوه ولله ما يقول بعض الصوفية : جزى الله الاعداء عنا كل خير فلولاهم ما نزلنا منازل القرب ، ولا حللنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حظائر القدس . هذا وقد كفر قوم نعمة الانتقاد فظنوا صنع الله فيه عبثاً «نعوذ بالله» فوقَروا عنه آذانهم ، وعطلوا من ناحيته سمعهم ، وجعلوا اصابعهم فى صماليخهم (١) من صواعق زجره ، وقواصف نهيه وامره ، وضربوا بينهم وبين اهل النقد حجباً ، واقاموا دونهم استاراً ، وخيّل لهم الجهل ان صممهم عنه ، يقيهم منه ، وان قبوعهم فى أُهَب الغفلة (٢) يدرأ عنهم سهام اللوائم كأنهم لا يعلمون ان ذلك وقوع فى اشد مما خافوا ، واندفاع الى شر مما رهبوا ، فمثلهم كمثل بعض الطيور اذا رأى الصائد غمس رأسه فى الماء ظناً منه انه متى اغمض عن طالبه اغمض الطالب عنه فيكون بذلك قد يسر الصائد صيده ، وسهل عليه كيده ، ومن ثم تجدهم فى عمى عن شؤونهم وتخبط فى اعمالهم قد لزموا خطةً من الهون لو ابصر عقلهم بعض اطرافها لماتوا جزعاً من هول مافيها . كل ذلك واسلات الألسن واسنة الاقلام لاتألوا فى تقريعهم بل وصوت الحق الصريح ينادیهم من عمائق ضمائرهم بئس ما اشتريتم لانفسكم لو كنتم تعلمون . وليُّهم عاتب ، وعدوهم عائب ، وهم فى غفلة من هذا بل لا يشعرون

اولئك الذين ختم الله على سمعهم وطبع على قلوبهم فمرقوا من ناموس الفطرة الالهية فهم اموات الارواح ، مضطربوا الاشباح ، ولا تنشق عنهم قبور الخمول حتى ينشرهم الله فى حياة اخرى يخضعون فيها للأحكام الكونية ويعملون على السنن الالهية ، فلينتظروا انا معهم من المنتظرين

---

(١) الصماليخ ج صملاخ وصملوخ وهو داخل خرق الاذن ويطلق على وسخها (٢) الاهب بضمتين جمع أهاب ككتاب وهو الجلد الذى لم يدبغ او أعم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الديني

﴿ الطلاق فى الاسلام ﴾ (١)

ان اباحة تفارق الزوجين هى نقطة متوسطة بين التغالى فى الاطلاق الموجودة فى الزنا الذى هو صحبة ساعة وبين التغالي فى القيد الذى هو التزام عدم انفكاك الاقتران مدى العمر وحد وسط بين طرفي الافراط والتفريط كما هو مشرب المنهج الاسلامي فى كل الامور . وفيه تسهيل للزواج والمناكحات الرادعة عن الالتجاء للزنا اذ يستصعب الزواج اذا لم يمكن الفراق . واننا لانكر مافى التفارق من المضار التى ربما تحدث عنه ولكنها لاترجح عما فيه من المنافع التى تستلزمه عند الموازنة الصحيحة . ولا يخفى ان ماتساوى طرفاه نفعاً وضرراً فالشأن فيه الاباحة التى هى الاصل فى كل أمر وجانب الاطلاق مرجح عن جانب القيد اذا تساويا

هذا وان الطلاق كذلك اذا لم يكن لضرر أو إلجاء ضرورة فليس بمباح تماماً كسائر المباحات فى الشرع الاسلامى بل هو من قسم المكروهات التى لايستحسنها الشرع الاسلامى . ويعتبر الطلاق شأن السفهاء لان الشرع الاسلامى ينهى عن الجفاء بكل أنواعه . ويحث على الشفقة والانصاف والمروءة وحفظ الوداد والعهد . وانما الطلاق لابأس به اذا لم يمس بشىء من هذه المذكورات اى اذا لم يكن فيه مخالفة للانصاف والمروءة الخ .. فلا يكون الطلاق حينئذ الا كناية عن فرج ومخرج من ضنك المعيشة التى ربما تحدث بين الزوجين ولا مناص عنه الا باقتراقهما واستغناء كل

(١) المقالة لأحد علماء حلب وجاءت فى رسالة مكاتب المؤيد فى الاستانة العلية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منهما عن الآخر او استعواضه من هو خير له منه اذ ربما يبقيان على كره منهما أو احدهما فيكون نكد العيش الدائم لولا الطلاق

أترى اذا كان الرجل عنيناً والمرأة شابة حسناء وصار هو يحب الانفراد والانزواء وصارت هي تميل لاتيان ماتأتي النساء ولم يكن لاحدهما حاجة بالآخر فعلام نلزمهما بالتزام مالا يلزمهما من الحجر الدائم عن مبتغاهما؟ أرأيت اذا تباغضا لاسباب مافعلام نلزم كلا منهما بالتزام صحبة بغيضه مدى عمره ؟ أرأيت اذا علم الرجل أن امرأته زانية وأراد ان يفارقها بدون ان يفضحها ويثبت عليها مايخل بشرفها . أرايت اذا عجز عن اثبات ما علمه من اتيانها الزنا فكيف نجبره على هذا الضيم؟ . ولقد رأينا كثيراً في بلادنا ممن يتدينون بتحريم المفارقة بدون ثبوت الزنا يعلمون الزنا من نسائهم ولا يقدرون على اثبات ما علموه فيمكثون على هذا الضيم مدى عمرهم كاتمين غيظهم بالرغم عنهم . فلمثل هذه الحكم اباحة الطلاق لا لأجل محض الشهوة ولذلك لاترى من أهل الاسلام المتربين على فضائل الاخلاق الاسلامية من يطلق زوجته لغير عذر مقبول من مثل هذه الاعذار . فان قيل: «فعلى هذا ينبغي ان يكون ابطال عقد الزواج متوقفاً على رضى كل من الطرفين معاً كسائر العقود . أو بيد كل منهما فأيهما لم يطب عيشه لدى صاحبه يفارقه لا ان يكون الرجل هو المالك لذلك دون المرأة » فنقول ليست اصول تفارق الزوجين في نظام الاسلام كما يتوهمه الغالط بل ان تفارق الزوجين اما ان يكون بابطال عقد الزوجية وفسخ المقاولة بحيث يرد كل منهما ماتملكه بالعقد فتسترد المرأة ماملكته للرجل من اباحة نفسها له دوماً واختصاصه بها ويسترد الرجل ما جعل لها من المال بمقابلة هذه الاباحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدائمة كله أو بعضه بحسب مايتراضيان عليه حين التفاسخ . فهذا التفارق بالتفاسخ يتوقف على رضاء الطرفين كسائر العقود ويسمى هذا النوع بالخلع أو المخالعة . واما ان يكون تفارق الزوجين على صورة الطلاق وهى أن يترك الرجل حق استباحته الدائمة للمرأة مع استكمال المرأة كل ماجعل وشرط لها من المال والنقد . فهذا أمر موكول للزوج الا اذا شرط فى أصل عقد الزواج بينهما أن يكون للمرأة ايضاً حق تطليق نفسها من الزوج فيراعى هذا الشرط وحينئذ متى شاءت طلقت نفسها واستردت تمليك بضعها الدائم لزوجها بدون ان يستردهو شيئاً أو ان يمتنع عن تأدية ماشرط لها حين العقد . وبذلك تعلم ان اصول المفارقة بين الزوجين منظور فيها لصورة اصل عقد الازدواج وصورة نقضه وانفكاكه . وان ما شرط فى أصل العقد مرعيٌّ وليس للزوج الا الرجحانية على المرأة بأنه اذا لم يشترط فى العقد شيء كان أمر الطلاق بيده دونها وحيث كان هذا أمراً معلوماً مشهوراً بين سائر أفراد الملة الاسلامية فيمكن لكل امرأة أن تشترط فى زواجها ان يكون أمر طلاقها بيدها فتساوى الرجل فى هذا الاستحقاق وانما كان اكثر النساء لا يشترطن ذلك لعدم الثقة منهن أن يتثبتن كتثبت الرجال على محافظة بقاء الزوجية لانهن بمقتضى تركيبهن الطبيعى اقل احتمالاً وتصبراً واشد خفة وطيشاً من الرجال واسرع تأثراً بالغضب لرقة بشرتهن ونقاوة عصبهن وكثيراً ما يستفزهنَّ الغضب من سبب جزئى لايقاع الطلاق بدون استيجاب السبب له فيوقعن الطلاق فى حال استيلاء الحدة عليهن ثم يندمن على مافرط منهن فلو اشترط الطلاق لهن دائماً لفشا وقوعه وكثر توقعه مع ان كثرة وقوعه بغير السبب الداعى يستوجب الندامة وكثرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

توقعه مخل بانتظام الراحة والتئام الالفة الروحية . وهو متوقع من جانبهن اكثر من توقعه من جانب الرجال

ولذلك كانت الارجحية للرجل على المرأة فى الطلاق بأن الأصل فيه أن يكون بيده دونها اذا جرى العقد على غير اشتراط شيء وللمرأة ما يقابل هذه الرجحانية التى للرجل وهي كون المهر الذى هو كالثمن يلزم من جانبه لها لا من جانبها له . وكذلك كل ما يقضى لها من النفقة أسوة أمثالها والمصارف البيتية عائدة عليه دون ان تكلف هى بأدنى شيء حتى ان لها عليه ان يقدم لها الطعام مطبوخاً مهيئاً بدون ان تتكلف بطبخه . وليس له ان يكلفها بشيء من الخدم الشاقة أو السافلة مع انه مكلف بتكبد المشاق فى سبيل الكسب لاجل النفقة عليها الا ان سامحته ببعض نفقتها أو سايرته بالتزام مالا يلزمها من بعض خدمتها . وعليه كل نفقة ما يولد لها من الاولاد حتى ليس له ان يجبرها على ارضاع ولدها . بل عليه ان يستأجر له مرضعاً غيرها اذا امتنعت هى عن ارضاعه .

ولا يخفى أن الارجحية التى أعطيت للمرأة هى الانسب بضعفها والارجحية التى أعطيت للرجال هى الانسب بقوة تثبتهم لا سيما وانه قد دفع المهر الأول ثم يلزمه عند المفارقة دفع المهر المؤخر فقل أن يسمح الرجل بتضييع هذه الاموال التى يدفعها فى المهر الاول والمهر الثانى بدون سبب ملجيء وداع قويّ . وحيث كان الاصل فى نظام الزوجية ان يدفع الرجل للمرأة ما يرضيها من المهر اسوة امثالها وان يشترط لها عند المفارقة مهراً ثانياً كان الاصل فى المفارقة التي تقتضى خسارته فى هذه الاموال دونها ان تكون موكولة اليه ولا يخفى على المنصف المتبصر مناسبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاصلين فى الجانبين ولياقتهما بحال الطرفين فلا يقال لماذا لم يكن الاصل فى الزواج ان يكون المهر من المرأة والرجحانية لها فى أمر المفارقة او ان يكون بدون مهر ولا رجحانية لاحدهما على الآخر فى شأن الطلاق . بل أيّ منهما اراد الطلاق اوقعه لان المرأة اذا ملكت امر الطلاق كذلك اكثرت ايقاعه رغماً عن الزوج وليس كذلك الرجل ولذلك لا تكاد ترى من يطلق زوجته الا بعد نفورها وطلبها الطلاق او تسببها له كما ان الرجل بحسب ما فيه من زيادة الاستعداد الطبيعي للكسب ينبغي ان يكون هو المعيل للمرأة فلذلك كان عليه المهر والنفقة .

نعم قد يكون الانسب بحال الطرفين بالنسبة لبعض الافراد مخالفة هذا الاصل وحينئذ يمكن الجري على خلافه بواسطة الاشتراط وانما كان هذا الاصل بالنظر لما هو الاصلح بالنسبة لحال الاكثر ثم ان من لم تشترط الطلاق لنفسها ولا يمكنها مفارقة زوجها عن امرها اذا ظلمها حقها بعدم ايفاء ما يترتب عليه لها او كلفها فوق ما يترتب له عليها ترفع امرها للحاكم فينهى الزوج فان لم ينته يجبره على طلاقها او يفرق بينهما مع تغريم الرجل كل ما اعطاه وشرطه لها حين العقد . فيكون حكمها كحكم من اشترطت الطلاق لنفسها فلا يتمكن الرجل من ظلم المرأة ولا المرأة من ظلم الرجل ولا يجبران على ضيم بكل حال . ثم انهما مهما تفارقا فلهما ان يتلافيا ما فرط منهما ويتراجعا اهـ . بالحرف

(المنار) نشرنا المقالة بحروفها على مافيها من الخطأ اللغوي لما هي عليه من الصواب والسداد فى المعنى والابانة عن محاسن الحنيفية السمحة فلله دركاتبها الفاضل . وقد كنا نتذاكر فى مسئلة الطلاق مع صاحب الدولة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رياض باشا فقال : زاد علينا الافرنج المتقدمون فى التوسع بالطلاق حتى قرروا اخيراً ان يستقل به كل من الرجل والمرأة بعد ما كان مشروطاً عندهم باتفاقهما

الفقه الاسلامى

كتب بعض الشيوخ من اهل العلم الواقفين على احوال العصر المتأخرين من تأخر المسلمين وضعفهم مكتوباً مطولاً الى صديق له فى القاهرة ينتقد فيه كتب العلم الاسلامية كلها ويبرأ الدين من الفنون المنسوبة اليه كالكلام واصول الفقه وفروعه ويقول انها كلها علوم ضارة ذهبت ببساطة الدين وسهولته وشغلت عن علوم الدنيا التى تعطى اصحابها القوة والعزة فكتب اليه صديقه وهو من الكتاب الفضلاء الباحثين فى الشؤون الاسلامية مكتوباً رد فيه بعض ماجاء فى المكتوب وسلم بالبعض فاحببنا ان يطلع علماؤنا لا سيما اهل الازهر الشريف على بعض ما يدور بين نبهاء المسلمين من البحث ليعلموا بالاجمال ان صراختنا ونداءنا اياهم طالبين اصلاح كتب التعليم وطريقته فى غاية الاعتدال فاخترنا الجواب لان صاحبه لم يغل فيه غلوّ الاول فى الانكار وان كان لا يخلو مما ينكره عليه الفقهاء وها هو بحروفه :

كتابك ايها الفاضل ينبئ عن توغل الفكر فى مرامي بعيدة مدى الغاية وما استخرجه من الحقائق من خبايا التاريخ امور يوافقك على بعضها اخوك وبعضها نظريات تحتاج الى دقيق تأمل ويضيق عن الالمام باطراف المناقشة فيها هذا الكتاب فأرى ارجاءها الى فرصة الاجتماع اذا تيسر اولى

وانما هناك مسئلة أحب ان لا يفوتنى الآن النظر فيها رغبة فى تعديل ما فى نفسك من جهتها وايقافاً لك على فكري الصراح فيها عسانا نجمع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طرفي الرأى الى دائرة واحدة نتلاقى فيها عند نقطة الحقيقة التى لا خلاف فيها

ذهبت الى ان علم الفروع انما هو مجموع قوانين وضعها البلخية والكرخية الخ من سميت وان هذه القوانين ليست من علوم الدين وربما حملتها على محمل ما سردت من العلوم التى رأيتها غير موافقة لحالة الزمان والمكان وأرى فى هذا مغالاة فى الفكر فيها نظر يظهر لك ظهوراً جلياً فيما يلى

انا اعتقد وانت تعتقدان لا بد لكل امة قذفت بنفسها فى مضمار الحضارة من قانون جامع لجزئيات الحوادث تحفظ به نظامها وتمهد سبل الترقى لمجتمعها والاسلام وان جاء باسمى ماتتطلبه الحاجة المدنية والحياة الاجتماعية الا ان ما جاء به انما هو قواعد كلية وليس من شأنه وشأن الاديان عامة ان تحيط بالجزئيات التى لا تتناهى فى جانب الترقى والاجتماع وانما كانت الاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل من الامة فى وضعها عند الحاجة وارجاعها الى تلك القواعد والاصول على طرق معروفة اصطلح عليها علماء الاصول من المسلمين وقد فعل علماؤنا ما يجب عليهم من هذا القبيل واحاطوا بكثير من الجزئيات التى دعت اليها حاجة كل عصر الا ما فاتهم منها من تحديد بعض العقوبات وترتيب المحاكمات والتفريق بين الحقوق العمومية والحقوق الشخصية تفريقاً يتعين معه الاختصاص بالدعاوى العمومية التى كان القضاة خصماً وحكماً فيها فى آن واحد ولهذا اسباب كثيرة لا يسهل بيانها الا بعد معاناة صعوبة الاستقصاء وليس هذا محله

هذا والحق أولى ان يقال ويتبع ومثلك ايها الصديق من انقاد للحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وظاهر اهله فان علماءنا برعوا فى علم الحقوق الى حد جعل هذا العلم عند المسلمين يكاد لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الجزئيات الا احصاها الا انه مشوش بكثرة مااختلفوا فيه حتى على المسألة الواحدة ومنشأ هذا على ما أرى انفراد الآحاد بالتشريع (١) حتى من المخرجين والمرجحين بحيث يجوز الواحد منهم ما يمنعه الآخر وبالعكس وسببه التساهل من المسلمين فى ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء ومن ليس بمعصوم من الافراد وهى السلطة العظيمة التى لم تسلمها أمة متمدنة قبل المسلمين للآحاد منفردين قط وانما كانت تسلم الى ثقات كل أمة مجتمعين لا منفردين

لو فهم المسلمون منذ استفحل أمرهم وعظمت للقوانين الجامعة لفروع الحوادث حاجتهم معنى ما يسمى عند علمائهم الاجماع وان من قواعد دينهم الكلية التكافل العام على مصالحهم العامة وان كل مصالحهم فى الحقيقة انما هى مرتبطة بأس المصالح وحياة الوجود ألا وهو القانون الكافل لراحة الجميع وسعادتهم لاستفادوا من هذا الى الآن فوائد لا يستقصيها العقل ولما تركوا امر القوانين فوضى لا يعتمد فيه الا على قال فلان وأفتى بخلافه فلان بل لكانوا عهدوا بتفريع الاحكام واستنباطها الى جماعات من اهل الفضل والاجتهاد ينوبون عنهم عند مسيس الحاجة فى تطبيق الاحكام على الحوادث فى كل زمان ومكان

ولكن لما لم يفهموا هذه القاعدة واغفلوا العناية والنظر بامر القوانين هل يجوز تركهم هملاً ؟ كلا لا يجوز اذن فوضع الائمة والعلماء لعلم الفروع الذى ذهبت الى انه مجموع قوانين وضعها فلان وفلان لازم وهم المتفضلون

(١) حيثما جاء التشريع هنا فالمراد به التفريع فاحترس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ودماء المسلمين هم الملومون

ولا يخفى على فهمك ان تسليم سلطة التشريع لجمع لا لآحاد ليس فيه من حرج او مانع يمنعه من الدين والذى سوغ للفرد ان يضع او يستنبط ماشاء من الاحكام التي تمس اليها الحاجة يسوغ للجمع كذلك وهو الاحوط ايضاً فى الدين والدنيا والفرق بين ما يضمه الواحد وبين ما يضمه الجمع عظيم جداً لا يخفى على بصير اذ ان ما يشعر به الواحد فى نفسه من الحاجة او يبلغه من العلم قد يشعر الآخر بخلافه او يحيط بما لا يحيط به ذاك ولا تمحص حقيقة الحاجة العامة الا باشتراك جماعة عظيمة بمثل هذا الشعور واحتكاك الافكار بطول التجارب لهذا ولكى يعلمنا الله سبحانه وتعالى فائدة تبادل الفكر واصول الشورى خصوصاً فى المصالح العامة امر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باستشارة اصحابه بقوله تعالى (وشاورهم فى الامر) اى فى الشأن وهذا امر والاصل فيه الوجوب كما قرره الاصوليون ويتلو هذا فى مرتبة التعليم حديث التأبير المشهور وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبروا فانتم ادرى بامر دنياكم)

من هذا نعلم الفرق بين ما تمحصه العقول من الامور ذات الشأن فلا تصدر الا عن علم الجميع بمصلحتهم عامة وعلم كل فرد بمصلحته المستمدة من تلك خاصة فما بالك به فى التشريع خصوصاً وان الاجماع فيه يدعو الى ارتباط الاحكام برباط الاتفاق عليها من جمهور المتشرعين والعمل بها عند سائر الناس ويندفع بهذا خطر الفوضى القانونية التى يتخبط فيها المسلمون منذ اجيال كثيرة لكثرة الخلاف بين الائمة والمخرجين من علماء كل مذهب على مسائل المعاملات فضلاً عن العبادات وما ارانى الا معترفاً لك بان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الخلاف الذى شوش نظام المعاملات بين الامة يكاد يجعل علم الفروع فى المرتبة التي ذكرت وباضطراب اعتقادك بفوائدها توهمت

واما ما قلته من ان علم الفروع ليس من علوم الدين وانما هو مجموع قوانين وضعها المتقدمون فليس ذلك كذلك بل رأيي فيه انه من علوم الدين باعتبار انه مستند الى أصول عامة فى الدين وانه قانون باعتبار انه داخل تحت حكم الرأي والقياس والاجتهاد او هو نتيجة تطبيق الاحكام على حوادث حدثت بعد للمسلمين وروعيت فى وضعها اصول الدين

والذى اراه ان اطلاق علم الدين على الفروع لازم من لوازم البقاء والاستمرار لاحكام الاسلام وباعث على احترام هذا العلم احتراماً ينفع المسلمين كما ينفع كل امة تحترم الشرائع والقوانين واذا حملته على محمل ماذكرت من العلوم من حيث كونك تراها غير موافقة لحالة الزمان والمكان فيكفي فى تعديل فكرك من هذا القبيل امعان نظرك فيما سبق بسطه لديك لتعلم وانت اعلم به منى ان مسوغ الاجتهاد الذى هو تشريع فى الفروع ميسور لكل عالم من علماء الشريعة بلغ مرتبة الكفاءة غير محظور عليهم فى عصر من العصور ومنه يتضح لديك تيسر جعل الفروع موافقة لحالة كل زمان ومكان اذا نهض اهل العلم والفضل للنظر فى هذا الامر وشرعوا بوضع كتب خاصة باحكام المعاملات يتفق على اعتبارها دستوراً للعمل جمهور اهل المذاهب وهذا وان كان يتوقف على ما يسمونه التلفيق الا انه لا يمنع من التوفيق لان التلفيق جائز عند فقهائنا فى العبادات فما بالك به فى المعاملات

لا جرم ان علماءنا فى هذا بين امرين كلاهما لا يمنع من تحرير علم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفروع وجعله صالحاً لحالة الزمان والمكان وذلك انهم اما ان يعتبروا ان كل ما حرره الائمة وقرروه هو من الدين الذي هو حق لا ريب فيه فيلزمهم في هذه الحال التسليم بما حرره جميعهم من الاحكام ويلزم من هذا جواز انتقاء الاحكام الموافقة لحالة العصر من كتب المذاهب وتدوينها في كتاب خاص ليس فيه ادنى شائبة من مثارات الخلاف ليكون أشبه بقانون عام شامل لسائر حاجات الاجتماع يعمل به المسلمون على اختلاف مذاهبهم . واما ان لا يعتبروا ما حرره الائمة من الدين بل يعتبرونه رأياً أداهم اليه الاجتهاد وان هذا هو علة اختلافهم في الاحكام منعاً وايجاباً بحيث يجوز الواحد ما يمنعه الآخر وفي هذه الحال يجوز لهم الاجتهاد كما جاز لغيرهم فيتفق جميعهم على جعل علم الفروع علما نافعاً في العصر مراعى فيه جانب الحاجة مضافاً اليه ما فات المتقدمين من التوسع في مناحي اخرى أصبح التوسع فيها الآن من ضروريات الحياة الاجتماعية وعليها بنى ترقي الحكومات والامم الغربية ترقياً لم تكن تحلم به الامم من قبل لا سيما وان الذي جوز للسلف التوسع في الامور السياسية عند ما مست الحاجة اليها حتى وضعوا لها كتباً خاصة مستندة الى اصول الشريعة كالاحكام السلطانية والخراج وغيرها يجوز للخلف التوسع فيما تمس اليه الحاجة الآن وتقتضي التوسع فيه حالة الزمان

على ان الشعور بالحاجة الى اصلاح امر القوانين الاجتماعية عند المسلمين قد دب في العقلاء دبيب البرء في الاطراف ولا بد ان يعم سائر الجسم فنرجو الله سبحانه وتعالى ان ينبه علماءنا الكرام الى تلافي امر هذه الحاجة صوناً لعلم الفروع من ان يهجر وحرصاً على علوم الشريعة من ان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصبح العناية بها اقل من العناية بالقوانين الوضعية التى الجأت الحاجة بعض الحكومات الاسلامية الى استعمالها دون القوانين الاسلامية ويراها بعضهم أجمع لحاجات الاجتماع وهى وان لم تكن كذلك ألبتة الا انها بسلامتها من مثارات الاختلاف وتقيد الحاكم والمحكوم بقيود خاصة منها لا تترك مجالاً للرأي ومكاناً للقيل والقال قد جعلت الرغبة اليها اميل والطريق الى انتظام الشؤون العامة بها امد

هذا فكري فى النقطة التى اخترت ان اتجاذب واياك اطراف البحث فيها الآن وقد رأيت ما احتاج اليه النظر فيها من التطويل الممل فلو تناول البحث سائر ما فى كتابك لاحتاج ذلك الى كتاب كبير فالله نسأل ان يوفقنا واياك لخدمة الامة والدين ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم امين

(المنار) ان كثرة الخلاف فى الفقه والاضطراب فى التصحيح والترجيح المؤدي الى الاختلاف فى الفتوى والقضاء وما فى هذا من الضرر واختلال المصالح ثم ما فى كتب الفقه من الصعوبة فى الترتيب والتبويب كل ذلك اشعر المسلمين من زمن بعيد الى الحاجة الى اصلاح كتب الفقه ووضع كتاب او كتب فى الاقوال السديدة التى تنطبق على مصلحة الامة فى هذا العصر على وجه قريب التناول سهل الفهم . ثم قوى الفكر فى الاصلاح حتى انتهى الى القول بأن كتب الفقه التى بين ايدينا مضرة وان اكثر ما فيها من مخترعات عقول الناس الذين اكثرهم من الاعاجم كما جاء فى كتاب الشيخ المردود عليه بهذا الجواب

واكثر المعتدلين فى الشرق والغرب على الوجه الاول وقد كتب الينا بعض الفضلاء فى الجزائر من مدة بما يأتى :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«رأيت مقالة تناسب مشرب مجلتكم المفيدة فاحببت ان ابعث بها اليكم لتدرجوها فيها ان شئتم بعد تمهيد ترتبط به

في الجزء الثاني صفحة ٢٤ من رحلة العلامة الشهير المرحوم الشيخ ابي سالم عبدالله العياشي المسماة بماء الموائد المطبوعة في حاضرة فاس اواسط جمادى الثانية عام ١٣١٦ ما نصه »:

«اني كنت اود لو ان الله قيض لهذه الامة من يجمع اربعة من محققي علماء كل مذهب من هذه المذاهب الاربعة الموجودة ويختار لكل واحد جماعة من اهل مذهبه يستعين بهم في المطالعة وتحقيق ما يشكل عليه من فروع الديانات فيأمر الاربعة بالاجتماع في محل واحد في وقت مخصوص من ليل اونهار بقصد تأليف ديوان في فروع الفقه ويتخذ لهم كتاباً مهرة يستعينون بهم ويجري على الجميع من الجرايات ما يكون سبباً لفراغ بالهم لما هم بصدده وبعد مراجعة كل واحد منهم مع اصحابه ما يحتاج اليه من كتب مذهبه في المحل الذي يؤلفون فيه يجتمعون فيتتبعون فروع الديانات الجزئيات من اول مسألة مدونة في الفقه على قدر طاقتهم الى آخرها فيذكر كل واحد مشهور مذهبه في كل نازلة فاذا علموا مشهور المذاهب في كل مسألة مسألة نظر من تصدى للكتابة والتأليف عندهم الى المسائل المتفق عليها بينهم فاثبتها ولا يحكي شيئاً من الخلاف فيها ثم المسائل المختلف فيها يقتصر فيها على قول ثلاثة منهم ان اجتمعوا ويحذف قول الرابع ثم ان قال اثنان بقول واثنان بقول جعلها ذات قولين مشهورين ثم ان تباينت آراؤهم في النازلة وهو قليل حكاها بلا تشهير وتكون مسألة خلاف ويقدم ما كان منها مستنداً الى كتاب ثم ما استند الى سنة ثم ما استند الى اثر صحابي قوي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ما اخذ من الاجتهاد فاذا الف الديوان على هـذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان اقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين اهل المذاهب والتعصبات الفاحشة المؤدية الى تضليل بعضهم بعضاً» الخ انتهى ما تعلق بنقله الغرض بنصه وفصه كمال الدين المرغناني

من الجزائر فى ٢٣ من شوال سنة ١٣١٨

(المنار) اما رأينا فى الفقه فموافق لما جاء فى المحاورة بين المصلح والمقلد وقد ضاق عنها هذا الجزء وما قبله وستنشر فى الجزء الآتى ان شاء الله

﴿ القسم الثانى من الامالى الدينية فى النبوات ﴾

الدرس ١٩ — الحاجة الى الوحى والنبوة

بينا وجه حاجة الانسان الى الوحى لسعادته فى الحياة الدنيا من حيث انه نوع اجتماعي اودع فى طبيعة افراده من الرغائب والحظوظ ما يقتضى التباين والتنازع كما اودع فيها من حب الاجتماع والعجز عن تحصيل معظم ما تطالبها به الفطرة ما يدعو الى التعاون ، الذى يعارضه التخالف والتغابن . ولا يتم للنوع ارتقاؤه بل ولا بقاؤه مع هذه الغرائز المتعارضة فمن ثم كان محتاجاً الى ارشاد يوفق بين آثار هـذه الغرائز وعوارضها ، بما يذهب بتعارضها ، ويعرف كل فرد من الافراد حده ، ويجعل له من نفسه وازعاً يوقفه عنده ، ولم تكمل له هذه الحاجة الا بالدين . ويرد على هذا القول ثلاث شبهات (احداها) ان الانسان لا يتربى الا بالكون وما يعرض عليه من شؤنه واطواره فالذى تثبت له الوقائع الكونية انه ضار يرغب عنه ويجتنبه ، والذى تثبت له انه نافع يرغب فيه ويجتلبه ، ولذلك لم تنتفع الامم الشعوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بهدي الاديان ، الا بمقدار ما اعدتها له الاكوان ، وقد اجبنا عن هذه الشبهة فى الدرس السابق من غير ان نقررها . ولم يكن الجواب ناقضاً لمسئلة الاستعداد فقد ورد ان الانبياء امروا ان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وما منح الله تعالى الانسان الدين الا بعد ما ارتقى استعداده لفهمه « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » الخ

وقد ارتقى هدي الدين وارشاده بارتقاء الانسان حتى كمل بالاسلام على ما بينه استاذنا الاكبر فى رسالته وسيرتقى اهله وهم العالم الانسانى كله (بالنسبة الى الدعوة) حتى يفهموه حق فهمه وذلك بعد ما ترتقي علوم الفطرة والطبيعة اكمل ارتقاء كما قال تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق »

(الشبهة الثانية) هى : ان الحكماء والعقلاء يمكنهم ان يضعوا للناس قوانين وحدوداً تغنيهم عن الوحي والشرائع السماوية . والجواب عنها انه اذا فرض ان فى استطاعة الحكماء ان يستقلوا بهذا الوضع فهل فى استطاعتهم ان يحملوا الناس جميعاً على قبوله والعمل به بغير وازع الدين ؟ فان قيل ان الحكماء يضعون القوانين والحكام يلزمون الناس بالعمل بها نقول :

لاترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

والوازع الدينى وازع نفسي لان مبدأ الدين من الالهامات الفطرية فى نفوس البشر . وأما وازع القوة فلا سلطان له إلاَّ على الظواهر فمتى أمن اهل البغي والتعدي من اطلاع الحاكمين يرتكبون ما شاء البغي ويجترحون ما احبت الشهوة من التعدي على الأموال والاعراض وراء الحجب والاستار وحيث لا تمتد أعين الشهداء ، ولا تصل معارف القضاة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والامرآء ، ثم ان القضاة والحكام أنفسهم اذا كانوا على غير دين يتهكون الحرمات ، ويقترفون السيئآت ، ويساعدون الجناة ، ويشاركون الجباة ، والحاصل ان الانسان لا يستغني فى حياته الاجتماعية عن حدود عادلة يقف افراده عندها فى معاملتهم ومعاشرتهم وان هذه الحدود لا تحترم ويوقف عندها الا اذا كانت على موافقتها للمصلحة العامة مضافة الى تلك السلطة الغيبية التى فطر الناس على الاعتقاد بها والخضوع لها وهذا عين حاجتهم الى الوحي لسعادة الدنيا . وقد تقدم المثال العمليّ فى اثبات هذه النظرية فى الدرس السابق .

(الشبهة الثالثة) لقائل ان يقول : ان أمم أوربا التي تحكم بالقوانين الوضعية هي أسعد من الامة الاسلامية وان الحكومات الاسلامية التي أخذت ببعض هذه القوانين كمصر والدولة العلية أحسن حالا ممن لم يأخذ بشيءٍ منها كحكومة مراكش . والجواب يعرف مما كتبناه فى الدرس الماضى من المقابلة بين المسلمين فى نشأتهم الاولى وبين الاوربيين فى نهايتهم مع انهم لم يمرقوا كلهم من الدين الذى بني على وجوب طاعة الحكام وقد صرحنا مرارا ان المسلمين صاروا حجة على دينهم بل قلنا فى المقابلة المذكورة انهم حجة من لا دين له على كل دين .

(المسئلة ٥٦) الحاجة الى الوحي لسعادة الآخرة — خلق الله للانسان حواسّ ومشاعر ووهبه عقلا وفكراً يهتدى بها الى مصالحه ومنافعه فى الدنيا كما قال « أعطى كل شَيْءٍ خلقَهُ ثم هدى » وعلمنا ان هذه المواهب لم تكن كافية له لسعادته الدنيوية لولا الدين فما بالك بحياته الأخرى الغيبية التي يقصر عن تناولها حسه ولا يحيط بشيء من كنهها عقله وانما يشعر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بها وجدانه شعوراً مجملاً مبهماً ؛ وقد بين استاذنا فى «رسالة التوحيد» هذا الشعور أحسن بيان ، واستنتج منه وجه الحاجة الى الوحي بأجلى برهان ، والافضل ان نقتبسه بلفظه ومعناه ، لئلا يضيع شيء من فحواه ، قال حفظه الله ، :

«اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ملليين وفلاسفة الاّ قليلاً لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاءً تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى اجساد البشر أو الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى ان التناسخ ينتهى عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها ، او ما به شقوتها ، . ومنهم من رأي انها تتعلق بأجسام اثيرية ، ألطف من هذه الاجسام المرئية ، وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفى الوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه .

« هذا الشعور العامّ بحياة بعد هذه الحياة المنبثُّ فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن ان يكون ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو من الالهامات التى اختص بها هذا النوع . فكما ألهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وان شذّ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للارشاد فى عمل ما او الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالوا ان لا وجود للعالم الا فى اختراع الخيال وانهم شاكّون حتى فى انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الإلهام العام المشعر لسائر افراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة واس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ماللانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً فى طور آخر وان لم يدرك كنهه . ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء يُشعِر كل نفس انها مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عندغاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات ممرّضة لآلام من الشهوات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد . إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للأنواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على ايام او سنين معدودات

« شعور يهيج بالارواح الى تحسّس هذا البقاء الأبدي وما عسى ان تكون عليه ، متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل ، وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل ؟ ، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار، فى تقويم الانظار، وتعديل الافكار، واصلاح الوجدان، وتثقيف الأذهان، ولا نزال الى الآن من همّ هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لا ندرى متى نخلص منه، وفى شوق الى طمأنينة لا نعلم متى تنتهى اليها،

« هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب. هل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب وهل فى طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها وبان لا مندوحة عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤن التى لابد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه او الى معرفة يد من يكون تصريف تلك الشؤن؟. هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك، وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك،؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة الا فيك انت. فالنظر فى المعلومات الحاضرة، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة،

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم، الذى أقام امر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم، الذى خلق الانسان، وعلمه البيان، علمه الكلام للتفاهم، والكتاب للتراسل، ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدلها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو اعلم حيث يجعل رسالته يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه، والامانة على مكنون سره، مما لو انكشف

اهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه ، او ذهبت بعقله جلالته وعظمه ، فيشرفون على الغيب باذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد ، وبداية الغائب ، فهم فى الدنيا كانهم ليسوا من اهلها ، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ، ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وما خفى على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وماقدر ان يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ، ولا يبعد عن متناول افهامهم ، وان يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم ما هو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه باعماق ضمائرهم فى اجماله ، وتدخل فى ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين ؟ ؟

« لاريب ان الذى احسن كل شىء خلقه ، وأبدع فى كل كائن صنعه ، وجاد على كل حى بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بانوع الذى اجاد صنعه واقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى اهم حياتيه ، والضلال فى افضل حاليه ،

« يقول قائل : ولم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة وماهذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية والتعليم ؛ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانسانى ذلك النوع على ما به وما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما ألهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل اوملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الارض » اه

آثار علمية أدبية

العشق وحرية العرب

دخل يزيد بن معاوية على أبيه أيام حكمه مستأذناً بقتل ابى دهبل وهب بن زمعة الجُمَحيّ لانه اكثر التغزل فى اخته عاتكة واشتهر بعشقها وسارت بأشعاره الركبان وتغنّى بها الناس فقال معاوية وماذا قال ؛ فأنشده يزيد ابياتاً من قصيدة ابى دهبل النونية وهي :

طال ليلى وبتُّ كالمجنون ... ومللتُ الثواء فى جيرون

وأطلت المُقام بالشام حتى ... ظن أهلى مرجمات الظنون

فبكت خشيت التفرق جُمْل ... كبكاء القرين إثر القرين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّ ... اص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون

فلما انشد هذا البيت وما قبله قال له معاوية في اثر كل واحد منهما هي كذلك يابني ولقد صدق. فلما انشد:

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمرٍ مسنون

قال معاوية: كذب في هذه يابني. وبعد البيت:

قبة من مراجل ضربوها ... عند برد الشتاء في قيطون
عن يساري اذا دخلت من البا ... ب وان كنت خارجاً عن يميني
ولقد قلت اذ تطاول سقمي ... وتقلبت ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوى طار نومي ... ام براني البارى قصير الجفون

وهذا البيت من الحسن بالمكان الذي تراه

وعزم معاوية ان يكلم ابادهبل في الامر فتربص به حلمه حتى اذا كان في يوم جمعة دخل عليه الناس وفيهم ابو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا اراد ابو دهبل الخروج فامنعه وارددْه اليّ وجعل الناس يسلمون وينصرفون فقام ابو دهبل ينصرف فناداه معاوية: يا أبادهبل اليَّ فلما دنا اليه اجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت ان في قريش اشعر منك حيث تقول: «ولقد قلت اذ تطاول سقمي» الى آخر البيتين — غير أنك قلت: «وهي زهراء» — البيت والذي بعده — والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها ابو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأيّ شيء زدت في قدرها ولقد أسأت في قولك: «ثم خاصرتها» — البيت فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لساني. فقال له معاوية: أما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من جهتي فلا خوف عليك لانني أعلم صيانة ابنتي نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب في كل من جاز ان يقولوه فيه وكل من لم يجز وإنما اكره لك جوار يزيد واخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك . فحذر ابو دهبل وخرج الى مكة ويقال ان معاوية اراد ذلك لتنقضي المقالة عن ابنته

اما سبب عشق ابي دهبل لعاتكة فقد روي فيه انها لما حجت نزلت من مكة بذي طوى فبينما هي ذات يوم جالسة في وقت الهاجرة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق امرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها وعليها شفوف لها (ثياب رقيقة) تنظر الى الطريق فمر ابو دهبل فوقف طويلاً ينظر اليها ويمتع نظره بمحاسنها وهي غافلة عنه فلما فطنت له شتمته وامرت بارخاء الستر فقال :

اني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه اذا سبني مدبراً ... مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب
يذود عني ان تطلبتها ... ابٌ لها ليس بوهاب
احلّها قصراً منيع الذرى ... يحمى بأبواب وحجاب

ثم انشد ابو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وتناشدها الناس وغنى بها المغنون وسمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت واعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام فكان ينزل قريباً منها وكانت تتعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه في بيت الامارة والملك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يعد يراها فمرض مرضاً طويلاً وانشد القصيدة النونية المذكورة آنفاً

ولما عاد الى مكة خوفاً من يزيد كان يكاتب عاتكة . وبينما معاوية ذات يوم في مجلسه اذ جاءه خصيّ له فقال يا امير المؤمنين لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها وما وما زالت خائرة النفس منذ اليوم فقال له اذهب فالطف بها حتى تحتال على اخذ الكتاب ففعل الخصيّ واتى بالكتاب واذا فيه :

أعاتك هلاّ اذا بخلت فلا ترَيْ ... لذي صبوة زلفى اليك ولا يُرقى
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكّنتِ عيناً لا تملُّ ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ... ولم أرَ يوماً منك جوداً ولا صدقاً
أتنسين أيامي بربعك مدنفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا جسد ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية ... وادعو لدائي بالشراب فما اسقى
واكبر همي ان ارى لك مرسلاً ... فطول نهاري جالس ارقب الطرقا
فواكبدي اذ ليس لي منك مجلس ... فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ... ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فلما قرأه معاوية بعث الى ابنه يزيد فأتى ووجده مطرقاً فقال له ما هذا الأمر ؟ فقال امرٌ اقلقني وامضني وما ادري ما اعمل في شأنه قال وما هو ؟ قال هذا الفاسق ابو دهبل كتب بهذه الأبيات الى اختك عاتكة فلم تزل باكية فما ترى فيه ؟ قال الامر هين عبد من عبيدك يكمن له في ازقة مكة فيريحنا منه . فقال معاوية : أفٍّ لك والله ان تقتل رجلاً من قريش هذا حاله صدق الناس قوله وجعلوا احدوثة ابداً . فقال يزيد يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها اهل مكة وسارت حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلغتني واوجعتني وحملتني على ما اشرت به فقال ما هي فانشد

ألا لاتقل مهلاً فقد ذهب المهل ... وما كان من يلحى محباً له عقل
لقد كان في حولين حالا ولم ازر ... هواي وان خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عني لقاءها ... فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخاف وباله ... ولا في حبيب لا يكون له وصل
فواكبدي اني اشتهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجباً اني اكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية : قد والله رفعت عني لانى ارى انه يشكو عدم الوصل فالخطب فيه يسير قم عني . فقام يزيد وحج معاوية في تلك السنة ولما انقضت ايام الحج كتاب اسماء وجوه قريش واشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم ابي دهبل ثم دعا بهم ففرق الصلات الجزيلة فلما قبض ابو دهبل صلته وقام ينصرف دعا به معاوية فرجع اليه فقال له يا ابا دهبل مالي رأيت يزيد ساخطاً عليك في قواريض تأتيه عنك وشعر لا تزال تنطق به وانفذته الى اخصامنا وموالينا فطفق ابو دهبل يعتذر ويحلف انه مكذوب عليه فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا فهل تأهلت قال لا . قال فأي بنات عمك احب اليك قال فلانة قال زوجتكها واصدقتها الفي دينار وامرت لك بألف دينار اخرى . فلما قبضها قال : ان رأى امير المؤمنين ان يعفو لي عما مضى فان نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد ابحت به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالق البتة فسر معاوية بذلك وضمن له رضى يزيد عنه ووعده بادرار ماوصله به في كل سنة وانصرف الى دمشق . قالوا ولم يحج معاوية في تلك السنة الا لاجل ذلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(المنار) فى القصة فوائد لمن يتأمل ويستفيد (منها) حرية العرب وتساهلهم فى العشق وغيره مع اولادهم وغير اولادهم وفى لوازمه ما لم يتهتك المرض وتلمس العفة وتبتذل الصيانة (على ان العشق والعفة لا ينفكان فى قرن كما سنبينه) الم تر الى معاوية كيف اجاب يزيد حين قال له ان ابا دهبل يقول فى ابنتك

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ ... اص ميزت من جوهر مكنون

بقوله : لقد صدق يا بنى انها لكذلك ثم لما قال له انه قال « ثم خاصرتها » البيت قال لقد كذب . الم تر انه لم يعاتب ابنته ولم ينصحها لانه يعلم ان العشق طور من اطوار النفس يغري به العذل والتثريب ، ولا ينجع فيه الوعظ والتأديب ، ألم تر انه قال لابى دهبل « أما من جهتى فلا خوف عليك لانى اعلم صيانة ابنتى نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب » الخ

(ومنها) الطريقة المثلى فى تربية الفتيان والفتيات فى طور العشق والحب . اذا علم الجاهل الاخرق ان ولده عشق وساءه ذلك وخشي منبته يبادر الى اطفاء لوعته باللوم والتعنيف ، والعذل والتوبيخ ، وذم المحبوب ، وانتحال المثالب والعيوب ، وماهذا اللوم الا عين الاغراء ، وماذلك الاطفاء الا إضرام وإذكاء ،

كالذى طأطأ الشهاب ليطفى ... وهو أدنى له الى التضريم

والعليم الحليم يبادر الى قطع الصلات ، وابطال المعاملات ، بخفيّ الحيل ، ولطائف الحيل ، كما فعل معاوية فى اخراج أبى دهبل من الشام أولاً ثم فى تزويجه واكرامه بحيث ألجأه الى ان يعطى العهد من نفسه على ترك التشبيب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بعاتكة ويؤكد ذلك بإبانة زوجه واباحة دمه من غير ان تعلم عاتكة بذلك (ومنها) الفرق بين حلم معاويه وسفه يزيد وميله الى الظلم وسفك الدم وكيف صده ابوه عن اغتيال ابي دهبل بقوله ان في ذلك اثباتاً للتهمة واشتهاراً بالفضيحة ولم يأته من قبل الدين وحرمة الدماء المعصومة. والظاهر انه كان يعلم ان ما قاله له هو الذي يؤثر فيه

(ومنها) الحرية العامة. عند العرب يومئذ فقد كانوا يتغنون بشعر يشبب فيه بنت أمير المؤمنين من غير مؤاخذة ولا نكير ولا توقع مؤاخذة ولا خوف عقوبة

ومن وجوه الاعتبار الفرق بين عظمة الملوك وتجبرهم اليوم وبساطتهم يومئذ

العشق والعفة

العشق كما قلنا حليف العفة وقرينها وحب الفساد المقلوب لا يسمى عشقاً. وقد كان ابو دهبل عفيفاً نزيهاً وعاتكة أعف وانزه. روى انه خرج يريد الغزو فلما كان بجيرون جاءته امرأة فاعطته كتاباً فقالت له اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ثم ذهبت فدخلت قصراً ثم خرجت اليه فقالت لو تبلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ان شاء الله فانه من غائب لها يعنيها امره فبلغ معها القصر فلما دخلا اذا فيه جوار كثيرة فأغلقن عليه القصر واذا فيه امرأة وضيئة فراودته عن نفسه فأبى فأمرت به فحبس في بيت من القصر وكان يطعم ويسقى قليلا حتى ضعف وكاد يموت ثم دعته الى نفسها فقال لا يكون ذلك ابداً ولكني اتزوجك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالت نعم فتزوجها فأمرت به فأحسن اليه حتى رجعت اليه نفسه فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج حتى يئس منه اهله وولده وتزوج بنوه وبناته وتقاسموا ماله واقامت زوجه تبكي عليه حتى عمشت ولم تقاسمهم ماله . ثم انه قال لامرأته الجديدة انك قد ائمت فيّ وفي ولدي واهلي فاذني لي اطالعهم وأعود اليك فأخذت عليه ايماناً ان لا يقيم الا سنة حتى يعود اليها فخرج من عندها بمال كثير حتى قدم على اهله فرأى حال زوجه وما صار اليه ولده . وجاء اليه ولده فقال والله ما بيني وبينكم عمل انتم قد ورثتموني وانا حيٌّ فهو حظكم والله لا يشرك زوجي فيما قدمت به احد . ثم قال لها شأنك به فهو لك كله . ولما حان الاجل واراد الخروج الى الجديدة جاءه خبر موتها فأقام

ومن حديث العفة واخبار ابي دهبل انه كان يهوى امرأة جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاء الشعر وكان ابو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها وكانت هي ايضاً محبة له وكانت توصيه بحفظ ما بينهم وكتمانه فضمن لها ذلك واتصل الوداد بينهما فوقفت عليه زوجا وكانت غيوراً عليه فدست الى عمرة امرأة داهية من عجائز قومها فجاءتهم فحادثتها طويلا ثم قالت لها في عرض حديثها : اني لاعجب لك كيف لا تتزوجين بأبي دهبل مع ما بينكما . قالت : وأيّ شيء يكون بيني وبين ابي دهبل ؟ فتضاحكت وقالت : اتستترين عني شيئاً قد تحدث به أشراف قريش في مجالسها وسوقة اهل الحجاز في اسواقها والسقاة في مواردها فما يتدافع اثنان انه يهواك ويهوينه . فوثبت عمرة عن مجلسها واحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير اليها . وجاء ابو دهبل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على عادته فحجبته وارسلت اليه بما كره فقال فى ذلك شعراً كثيراً منه

يلومونني فى غير ذنب جنيته ... وغيري فى الذنب الذى كان ألوم
أمنّاً الناساً كنتِ تأتمنينهم ... فزادوا علينا فى الحديث واوهموا
وقالوا لنا ما لم نقل ثم كثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت اكتم

ومنها البيت التى يتمثل به وهو

أليس عجيباً ان نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

ويروي « أليس عظيماً » ومن شعره اللطيف فى ذلك

تطاول هذا الليل ما يتبلج ... واعيت غواشي عبرتي ما تفرّج
وبتّ كئيباً ما انام كأنما ... خلال ضلوعى جمرة تتوهج
فطوراً امنّى النفس من عمرة المنى ... وطوراً اذا ما لجّ بى العشق انشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى ان يوصل الحبل احوج
اخطّط فى ظهر الحصير كأنني ... اسير يخاف القتل ولهان مفلج

فانظر كيف ان عمرة ما كانت ترى مجلسها معه ومع الادباء لامساً للعفة، ولا ماسّاً بالصيانة، حتى علمت ان الناس يتحدثون بان الامر خرج عن المعتاد، ويرون ان لها شأنا مع بعض الافراد، فضربت دون زوارها الحجاب، ومنعت الهوى ان يدخل عليها من الطاق او الباب، وكان بنو جمح يزعمون ان ابا دهبل تزوج بعمرة ويزعم غيرهم انه لم يصل اليها ولم يُزَنّ هو ولا هى بكلمة قبيحة

كان ابو دهبل من سادات بنى جمح واشرافهم وكان جميلا ظريفاً وشاعراً عفيفاً. وكان يحمل الحمالات ويعطى الفقراء ويقري الضيوف

ومات فى سنة ثلاث وستين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الهدايا والتقاريظ

(المرأة فى الاسلام) مجلة علمية تهذيبية تبحث فى ترقية شأن المرأة فى الاسلام صدرت فى اوائل شهر ذى الحجة الماضى لمنشئها الفاضل ابراهيم بك رمزى وهى تصدر فى الشهر مرتين فى ١٦ صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك ٣٠ قرشاً تدفع سلفاً . وقد بين فى العدد الاول منها المباحث الكلية التى وضعت المجلة لها وهى (١) المرأة واستعدادها وحقوقها الشرعية ومكانتها البيتية والاجتماعية . (٢) تدبير المنزل والتربية . و (٣) الاخلاق والعادات و (٤) سير شهيرات النساء . و (٥) اخبار النساء . و (٦) «العائلة وتكوينها وحقوق وواجبات افرادها من زوج وزوجة وآباء وابناء » فنسأل الله تعالى ان يوفقه للصواب فيما يكتب وينفع به

ولا شك ان هذه الحركة المحمودة والعناية بشأن النساء هو اثر من آثار الصيحة الشديدة والصاخة القوية التى صدرت من حضرة الفاضل قاسم بك امين . ولو انه خاطب الناس بما يعرفون ويألفون لما احدث اثراً ولا حرك قلماً ولا فكراً وحركة الفكر تتقدم العمل دائماً وهو الذى يظهر للناس النافع والضار وبه تتم السعادة . ويبلغ الانسان مراده

(مجلة المجلات العربية) صدر العدد الاول من مجلة بهذا الاسم شهرية علمية صناعية ادبية سياسية ذات ٢٤ صفحة لصاحبها الهمام محمود بك نسيب وقيمة الاشتراك فيها سبعون غرشاً اميرياً فى السنة . وقد صدر منها العدد الاول مزيناً برسم سمو الخديو المعظم . وفى الاخبار السياسية رسم ولى عهد مملكة الانكليز وذكر الاحتفال به فى بورسعيد . وفى باب اشهر الحوادث واعظم الرجال رسم يوسف فردى الموسيقى الايطالى الشهير الذى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مات من عهد قريب وترجمته . الى غير ذلك من الفوائد والاخبار العلمية والتاريخية . فنرحب بهذه الرفيقة الجديدة ايضاً ونسأل الله لها التوفيق والانتشار .

الأخبار التاريخية

﴿ حديث مع شيخ الازهر والجمعيات الدينية فى فرنسا ﴾

اتفق لى انى عند ما زرت فى العيد صاحب الفضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر المعظم حدثته بالجمعيات الدينية الاوربية لا سيما الفرنسوية كالجزويت والفريرو ذكرت له أولاً ما كان من معاداة رجال الدين المسيحي للعلم فى العصور التي يسمونها المظلمة وكيف انقلب الحال بعد ما ظفر رجال العلم وسلبت السلطة السياسية من البابا فصارت أزمة العلوم بأيدي الجمعيات الدينية حتى ان الجزويت الذين هم أشد الفرق تعصباً للدين هم الذين غيروا نظام التعليم فى اوربا فارتقى بسعيهم الى الدرجة التي هو فيها . وذكرت لفضيلته ثروة جمعية الجزويت ومسالكها فى التعليم الدينى والدنيوى وان غايتها هى وامثالها ارجاع السلطة السياسية لرجال الدين كما كانت وانها تعلم كما يعلم كل بصير بأحوال الكون انه لا يمكن ان يكون مثل هذا الانقلاب الا بالعلوم العصرية والثروة المالية التي هى حليفة العلم . وانتقلت من هذا الى بيان كون الديانة المسيحية ليست ديانة سلطة بخلاف الديانة الاسلامية التي يجب فيها ان يكون الخليفة فمن دونه من الحكام عالمين بالدين — فى كلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طويل نتيجته ان حفظ الدين الاسلامى وحفظ كرامة اهله واعادة سلطته يحتاج فيه الى العلوم الكونية والجمعيات المالية وان هذا ما يدعو اليه المنار

لم تمض على حديثنا ايام حتى جاءتنا البرقيات ثم الجرائد بخبر معارضة الحكومة الفرنسوية للجمعيات الدينية ورجال الدين عامة واتهامها اياهم بالسياسة وعداوة الحكومة الجمهورية والسعي التمهيدى فى نكث فتلها وحل عراها . وقد اقترحت الحكومة على مجلس البرلمان ان يصدق على قانون قدمته له ملخصه على ما فى رسالة فى المؤيد الاغر

انه يجب على كل جمعية دينية أن تعرض قانونها على الحكومة وتأخذ منها اجازة رسمية والا فانها تحل وتبطل . وانه لا يجوز لاعضاء الجمعيات التى تحل ان يزاولوا صناعة التعليم مطلقاً وان فى مدارس الجمعيات المأذونة . وان الحكومة تستولي على ما تملك الجمعية المنحلة من عقار ونحوه وتبيعه وتنشئ بثمنه صندوق اعانة لعملة الشيوخ والمتقاعدين . وقد قدرت الحكومة قيمة ما للجمعيات غير المأذونة من ذلك بمليار فرنك (الف مليون فرنك) فهاج ذلك الاشتراكيين وطفقوا يقولون ان من الجناية على الامة ان يحتكر صنف من الناس هذا المال الكثير ويكنزه ويحول بين الناس وبين استثماره والانتفاع به * وقد صدق المجلس على هذا القانون بعد مناقشات اثبت فيها الموافقون للمعارضين (وهم الاقل) أن الرهبان يعلمون الشعب فى مدارسهم وكنائسهم ان الحكومة الجمهورية حكومة فساد واختلاس وقرارة اقذار وانه يجب تقويض اساسها . ومن الشواهد التى اوردها الباحثون على ذلك ان الموسيو لايك اظهر ان الكتب التى يتعلم بها تلامذة المدارس الدينية تحرف الكلم عما تقلب به الحقائق ليوافق مشربها . ومنها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان الموسيو برجو لما كان رئيساً للجنة جوائز تلامذة المدارس فى المعرض ارادوا منح الجائزة الكبرى لاكثر التلامذة مهارة فوجدوا ان الذين يستحقونها هم تلامذة مدارس الفرير ولكنهم وجدوا فى كتاباتهم دلائل كثيرة على بغضهم للحكومة الجمهوريه ونظاماتها واعتبارهم من يخالفهم فى المذهب من سائر الناس اعداء لهم فلذلك حرم من هذه الجائزة تلامذتهم فى اوربا واعطيت لتلامذتهم فى الشرق لانه لم يوجد فى كتاباتهم مثل ذلك ومنها انهم يعلمون النساء فى اوقات الاعتراف تعليما مخلا بالآداب كالكذب على الزوج لاخفاء ما يأتينه من البهتان بين ايديهن وارجلهن كأن تقول المرأة لزوجها « ما زنيت » وتنوى فى نفسها تتمة للقول مثل «لأقول لك» وتقول « ما سرقت » وتنوي قبل ولادتى او نحو ذلك . الى غير ذلك من الشواهد .

وقد تقرر الآن ان تعليم جميع الجمعيات الدينية لا بد ان يكون تحت مراقبة الحكومة ولاشك ان خوف الحكومة فى محله وان هذه الجمعيات تنوى الانقلاب الذى حذرته الحكومة وهى سائرة اليه من طريقته المثلى وهى طريقة التربية والتعليم . فليعتبر رجال الشرق عامة وعلماء المسلمين خاصة الذين فقدوا كل شىء وما بقى عندهم الا حثالة ما الف من قبلهم من الكتب يتلهون او يتعيشون بالبحث فى اساليبها وترديد الفاظها ولا يخطر على بالهم السعي فى دوامها وحفظ كرامة اهلها فضلا عن السعي بالارتقاء واعادة احكام الدين ومجده السالف ومن ينبههم على ذلك يتخذونه عدواً ويمضغون لحمه بالغيبة ويسلطون عليه عقارب السعاية وانما يبحثون عن حتفهم بظلفهم فحسبنا الله ونعم الوكيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(العام الجديد) هذا اليوم فاتحة سنة تسع عشرة وثلثمائة والف للهجرة الشريفة نسأله تعالى ان يجعله عام اصلاح وفلاح للأمة ويهنىء أهله بكشف الغمة .

(الاعياد والمواسم) كان الشهر المنصرم شهر اعياد ومواسم لجميع الملل — عيد الاضحى الكبير للمسلمين وعيد الفصح الكبير للنصارى وعيد الفطر لليهود وموسم شم النسيم المشترك بين جميع الطوائف والملل من سكان القطر المصري نسأله تعالى ان يديم النعمة والسرور على الجميع فى ظل الحضرة الخديوية الظليل

(تركيا الفتاة) اكثرت الجرائد فى هذه الايام من الكلام فى الحزب الذى يسمونه تركيا الفتاة فاعلاها مكانة يطعن فيه وبعضها يدافع عنه . والصواب ان هذا الحزب ليس له شأن فى العالم الا بسؤال مولانا السلطان عنه واهتمامه بشأنه فان أهمله اهمل وأغفل وما دام يبالى به ويحزبه أمره فشأنه كبير لا تؤثر فيه الجرائد ولا يزعزعه الكلام وانما تأثير الجرائد فى المابين فالمدح والقدح عاملان متساويان فى التأثير هناك بل ربما كان القدح والذم أشد تأثيراً فى الاهتمام به

أما صاحب الدولة محمود باشا داماد ونجلاه الاميران النجيبان فليسا من حزب تركيا الفتاة ولكن لهم شأن مخصوص بهم

وقد انتقدنا على جريدة مصباح الشرق الغراء بعض ما كتبته فى اسباب الحرب الروسية العثمانية والقانون الاساسي من الوجه التاريخى وسننشر ذلك فى العدد الآتى ان شاء الله تعالى